كربلاء - الحلة - الديوانية

قبل ٧٥ عاماً

حياتهم - تقاليدهم - قبائلهم - أشعارهم

تأليف

السيد حسين علي النجفي



كربلاء ـ الحلة ـ الديوانية

قبل ٧٥ عاماً

حياتهم ـ تقاليدهم ـ قبائلهم ـ أشعارهم

كربلاء - الحلة - الديوانية

قبل ٧٥ عاماً

حياتهم - تقاليدهم - قبائلهم - أشعارهم

تأليف

السيد حسين علي النجفي

الدار العربية للموسوعات



الطبعة الأولى

٢٠٠٨م - ١٤٢٨هـ



الدار العربية للموسوعات

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر هكاوي - ط1 - بيروت - لبنان

ص.ب: 511 الحازمية - هاتف: 952594 5 00961 - فاكس: 459982 5 00961

هاتف نقال: 388363 3 00961 - 525066 3 00961 - بيروت - لبنان

الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

مؤسسها ومديرها العام: خالد العاني

المقدمة

على ضفتي نهر الفرات في القسم الأوسط منه بقعة تمتد من حدود (الأنبار) التاريخية شمالاً إلى حدود أور جنوباً تسمى (الفرات الأوسط) وهي تشمل اليوم ثلاثة محافظات مهمة من العراق، كربلاء - الحلة - الديوانية، وهذه البقعة القديمة يحفظ لها التاريخ سجلاً ضخماً حافلاً بالأعمال الجسام مما تشهد به المخلفات الأثرية الموجودة في متاحف أوروبة، فلقد شع نور العلم والحضارة في أرض بابل قبل ميلاد المسيح بأكثر من ألفي سنة ونبتت في سهولها الخصبة أول مدنية عرفها التاريخ وعاش فيها قوم أشداء عرفوا بالجد والعمل، والأقدام والنشاط، فجعلوا من تلك الأرض جنائن خضراء وحقولاً ملأى بالزرع والنخيل تمتد على طول البصر حتى قال المؤرخ اليوناني الشهير هيردوتس في مذكراته عن سياحته في تلك البلاد: «إن سنابل الحنطة في أرض بابل كانت تغطي وجه الفارس». ويقول التاريخ أن حمورابي المشرع العظيم الذي أنبتته طينة هذه الأرض هو أول من سن القوانين في العالم وأول من قرر حقوق الأفراد والجماعات في المجتمع الإنساني ولا يزال «ميزان العدل» الخيالي الذي افترضه ذلك المشرّع الكبير لمحاسبة البشر في الآخرة على أعمالهم، مرسوماً على الحجر ومحفوظاً في المتحف البريطاني بلندن.

أما القسم الجنوبي من هذه البقعة وهو المسمى بالحيرة فقد كان مقراً لأول دولة عربية ظهرت في العراق وهي دولة المناذرة. فقد كانت تلك الدولة على ما يرام من القوة والسطوة حتى أن ملوك فارس اضطروا لمحالفة ملوكها واستمالتهم وذلك لتكون لهم درعاً يتقون به خطر الدولة الرومانية الشرقية وخطر أحلافها الغساسنة ملوك الشام في ذلك الوقت، وكانت مدينة الحيرة على عهد أولئك الملوك آهلة بالسكان وفيها كثير من المباني الفخمة. وهناك قرب مدينة النجف ترى أثر القصرين العظيمين اللذين بناهما النعمان بن المنذر وهما الخورنق والسدير. ومما هو جدير بالذكر أن تلك الدولة أحيت الآداب العربية وخدمت الشعر والغناء ففتح ملوكها أبوابهم للشعراء والكتاب ومنحوا الجوائز الغالية للمجيدين.

وهناك بين هاتين البقعتين بنيت مدينة الكوفة تلك المدينة التاريخية التي لعبت دوراً مهمًا في الإسلام. فقد كانت مسرحاً للدسائس والمؤامرات السرية ضد العرش الأموي وقد نسجت وراء جدرانها أخطر الثورات وظلت تنازع خلافة الشام زهاء قرن واحد حتى توفقت لقلب العرش الأموي ونقله من الشام إلى العراق. وعدا ذلك توجد هناك بقاع ومدن لا تقل أهميتها التاريخية عن تلك التي ذكرناها. كل تلك الأماكن يراها الرائي اليوم مقفرة كأنها خرائب لا أثر فيها لذلك التمدن. أما سكانها فأغلبهم يعيشون في القرى والأرياف قد خيم عليهم الجهل والمرض وسادت فيهم الفاقة والخمول لا يمتازون عن أبناء القرون الوسطى إلا بالاسم فقط وأما سكان المدن فيختلفون عن أبناء القرى اختلافاً قليلاً في مظهر الحياة الخارجية.

وترى الفوارق الاقتصادية هنا جلية بين الأفراد وهم على وجه العموم ينقسمون إلى شطرين مختلفين، غني وفقير، كل منهما يعيش عيشته الخاصة به وقل أن يتصل بعضهما ببعض.

هذه البقعة الصغيرة التي وصفناها للقارىء مجملاً بما فيها اليوم من

سكان ومبان وعادات اجتماعية وغيرها، هي التي يدور عليها محور هذا الكتاب وقد رغب المؤلف في أن يصف حالة هذه البقعة وحالة سكانها وصفاً حقيقياً خالياً من كل حشو أو مبالغة، معتمداً في ذلك كله على المشاهدات والوقائع التي مرت عليه أثناء إقامته في تلك الربوع، كل ذلك خدمة للتاريخ والحقيقة. وذلك لأن الواجب التاريخي يحتم على من يريد خدمة العلم خدمة خالصة لوجه الله أن يحافظ على الأمانة وعلى الصدق في ما يكتب ويحرر وحسب المؤلف أن يكون في كتابه هذا قد جانب الواقع وأرضى الحقيقة.

الناشر

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

الفرات الأوسط

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

-١-

موجز جغرافية البلاد

يتكون الفرات الأوسط من ثلاثة ألوية هي:

(١) كربلاء

مركزه مدينة كربلاء وهي بلدة قديمة واقعة في جنوب غربي بغداد وتبعد عن الفرات عشرين ميلاً وهي من المدن المقدسة لدى عموم المسلمين لوجود مرقد سيدنا الحسين وسيدنا العباس ابني علي بن أبي طالب ﷺ فيها. وقد عرفت بهذا الاسم قبل الإسلام، ويمكن تقسيم بناء كربلاء من حيث العمران إلى قسمين: كربلاء القديمة وبناياتها عتيقة غير مرتبة وجاداتها ضيقة يزدحم بها السكان وهواؤها غير صحي، وكربلاء الحديثة وهذه خططت في عهد الوالي العثماني مدحت باشا على النمط الحديث وجاداتها عريضة.

وهواء كربلاء رطب لأنها محاطة بمستنقع وقد ابتدأت الحكومة بإصلاحه بواسطة دائرة الري وفتح له (يزلا) سنة ١٩٢٩ ليجفف مياهه ولذا انتشر مرض الملاريا بين السكان بكثرة.

ويؤم كربلاء كثير من زوار إيران وغيرها لزيارة قبر الإمام وتكثر الزيارة في أيام خاصة اثبتناها في غير محل من هذا الكتاب.

وأعم ما يلفت النظر في هذه المدينة شيوع اللغة الفارسية فيها بدرجة يستطيع من جهل اللغة العربية أن يتفاهم مع كل السكان تقريباً بدون عناء. وأظن أن ذلك يعزى إلى كثرة اختلاط أهليها بالزوار الفرس والمقيمين منهم.

ولهذا اللواء ناحيتان يراجعانه مباشرة وهما الحسينية وشفاثة وقضاء واحد هو قضاء النجف.

ناحية الحسينية: - مركزها خان العطيشي وقد نقل موظف الناحية الاداري إلى مركز كربلاء أخيراً والخان مرجع المزارعين من العشائر وهو في طريق كربلاء - المسيب.

ناحية شفاثة: - مركزها شفاثة وتبعد ٤٢ ميلاً عن كربلاء وكانت تسمى عين التمر سابقاً لكثرة نخيلها وتنوع تمورها. ومياهها عيون كبريتية أكبرها تدعى (عين الأزرق) تقع وسط القصبة وتتصاعد منها الأبخرة صباحاً فتجعل شفاثة في ظلام دامس وينقشع هذا البخار قبل الظهر. وبالقرب من شفاثة أراض ملحية يمكن استخراج الملح منها بكميات وافرة.

قضاء النجف:

- مركزه قصبة النجف. فيها مرقد الإمام علي ﷺ وهي مدينة إسلامية عربية مقدسة اشتهرت بالعلوم العربية والدينية يؤمها الطلاب من كل البلاد الإسلامية. وكل وعاظ العشائر هم من متخرجي مدارس النجف وفي النجف حركة ثورية ضد الآراء القديمة السخيفة وفي شبابها نزعة قوية إلى التجدد.

هواؤها حار يابس وأرضها رملية داخلها طبقة صخرية تنحت فيها (السراديب) التي يلجأ إليها السكان أيام شدة الحر ومعدل عمق السرداب (١٢) متراً تقريباً.

تبعد النجف ستة أميال تقريباً عن نهر الفرات وارتفاع أرضها حال دون وصول المياه إليها من الشط.

وتصل المياه إلى النجف بواسطة مضخة نصبت على الفرات في الكوفة ومخزن للماء نصب خارج سور المدينة وقد مدت الأنابيب إلى داخل البلدة.

والنجف محاطة بسور فخم تصدعت بعض أركانه وقد شيده الصدر الأعظم محمد حسين خان العلاق وزير فتح علي شاه القاجاري وتطل النجف من الجهة الغربية على بحر النجف وقد جفت أراضيه عند تحكيم السداد على الفرات من محل يدعى (القورنة) وهذه المدينة مزدحمة بالسكان لذا خططت الحكومة العراقية محلة خارج السور على النمط الحديث وشجعت حركة التعمير والبناء فيها ليتخلص السكان من الضيق.

والنجف مركز لعلماء الشيعة في كل بلاد العالم ولهذا القضاء ناحية واحدة هي ناحية الكوفة.

ناحية الكوفة: - واقعة على الضفة اليمنى من الفرات وهي مدينة جميلة جدًّا غنية بمناظرها الطبيعية الفاتنة. قليلة السكان لوقوف حركة الأعمال فيها. جاداتها واسعة وأسواقها منظمة وكثيرة تحيط بها الحدائق والبساتين من كل صوب يوصلها بالنجف خط حديدي (تراموای) وعلى بعد كيلو متر واحد منها مسجد الكوفة القديم الذي خططه سعد ابن أبي وقاص القائد الأول للجيش العربي الذي جاء إلى العراق وقد كانت عاصمة الإمام علي ﷺ أيام خلافته.

(٢) لواء الحلة:

- مركزه قصبة الحلة وهي مدينة واسعة جميلة واقعة على ضفتي نهر الحلة المتفرع من الفرات تحيط بها البساتين من كل جهاتها وبها جسران أحدهما خشبي والآخر حديدي وتتبعها مباشرة ناحيتا النيل

والمحاويل. وللواء الحلة ثلاثة أقضية هي الهاشمية. الهندية. المسيب.

ناحية النيل: - مركزها كويرش ومزارعها كثيرة وهي خالية من كل بناء يستحق الذكر إلا القصر الذي شيده الألمان قبل الحرب العظمى أيام اشتغالهم بالحفر والتنقيب وأهم قراها الوردية. الدولاب. بيرمانة. الرواشد.

ناحية المحاويل: - تقع بين طريق الحلة وبغداد. تكتنفها الأشجار والنخيل وهي آخذة في النمو والتوسع. وأهم قراها الصباغية. المحاويل سادة الحصن. ألبو مصطفى. الخاتونية. برنون. كويرش.

قضاء الهاشمية:

- سمي بالهاشمية لقربه من طلول الهاشمية العاصمة العباسية القديمة وكان يدعى قبلاً (الجربوعية) وقد أسس على نظام هندسي عام ١٩٢٧ والهاشمية واقعة على رأس الزاوية التي تتكون من شط الحلة ونهر الجربوعية وتمر بها السكة الحديدية وموقعها صحي ومنظرها بديع وينتظر أن تتوسع في المستقبل وللقضاء ناحيتا القاسم والمدحتية.

ناحية القاسم: - سميت بهذا الاسم نسبة إلى القاسم ابن الإمام موسى بن جعفر المدفون فيها. تقع في منتصف طريق الحلة والديوانية. يؤمها كثير من المسلمين للزيارة وليس فيها عمران يستحق الذكر وذلك أمر يرجع لموقعها الجغرافي وأهمية هذه الناحية الزراعية كثيرة ومن قراها الجديدة. الزرفية. الحسينية.

ناحية المدحتية: - تقع على الضفة اليسرى من فرع الحلة وليس لعماراتها أهمية تذكر وأما زراعتها فكثيرة الأهمية وأهم قراها الياسية. الشرفاء. المزيدية. أبو سعة. الإمام حمزة. الخيقان الصغير والكبير. الخشخشية.

قضاء الهندية:

- مركزه قصبة طويريج واقعة على الضفة اليمنى من شط الهندية. وسمي هذا القضاء بالهندية لوقوع أراضيه على ضفتي نهر الهندية الذي حفره أحد أمراء الهنود قبل ١٢٠ سنة ليوصل الماء إلى النجف الأشرف والأمير يدعى آصف الدولة وكان هذا النهر بادىء بدء صغيراً بيد أنه توسع حتى قضى على زراعة شط الحلة ولذا عمر أولياء الأمور سدة الهندية. وبها جسر خشبي وتحيطها البساتين وكانت مهددة قديماً بالفيضان ولكن السدود التي انشأتها دائرة الري صانتها من الخطر.

وللقضاء ثلاث نواح هي جدول الغربي وأبو غرق والكفل.

جدول الغربي: - مركزه الرجيبة وهي واقعة على نهر عبد عونيات المتفرع من جدول بني حسن وتبعد عن مركز القضاء كيلومترين وتشمل هذه الناحية الأراضي الواقعة على نهر بني حسن من السدة حتى (اليعو) وأهمية هذا الناحية الزراعية كثيرة. وأهم قراها الرجيبة وشط ملا.

أبو غرق: - يبعد مركز هذه الناحية ١٢ كيلومتراً عن الهندية. لا أهمية لبناياتها وقد ألحقت ناحية الخواص بها مؤخراً وأهم قراها جناجة. الزوير. عنانة. الطهماسية.

الكفل: - مركز هذه الناحية قصبة الكفل وهي واقعة على الجانب الأيسر من نهر الهندية وفي منتصف الطريق الذي بين الحلة والكوفة وبين سكانها عدد قليل من اليهود معظمهم من خدام قبر النبي (ذو الكفل) وهي مدينة صغيرة سوقها منتظم ويقصدها اليهود في عيد رأس السنة وفي عيد الكفارة وقد ألحقت بهذه الناحية أخيراً ناحية نهر الشاه وأهم قراها القص. هور الشوك. الهميسانية.

قضاء المسيب:

- قضاء واسع يمتد على جانبي الفرات مركزه قصبة المسيب. تكتنفه البساتين والأشجار وهو مركز تجاري مهم للحبوب وبها جسر خشبي والمستنقعات في هذا القضاء كثيرة ولكن الحكومة بادرت لدفنها ولها ثلاث نواح الاسكندرية. جرف الصخر. سدة الهندية.

ناحية الاسكندرية: - مركزها الاسكندرية. قليلة السكان كما أن أهميتها الزراعية تكاد لا تذكر وهي مركز لتصدير معدن الجص إلى أغلب المدن العراقية وعلى الأخص بغداد.

ناحية جرف الصخر: - تبعد عن المسيب ١٣ ميلاً وهي ناحية قليلة الأهمية. مركزها بنايات الحكومة فقط ويسكن هذه الناحية عدد قليل من الزراع.

ناحية سدة الهندية: - مركزها قرية السدة وقد انشئت حديثاً وتقع على الضفة اليسرى من الفرات وفيها دور فخمة للموظفين وعمال السدة وموظفي السكك الحديدية وفيها مدرسة أميرية وأغلب سكانها يشتغلون بأمور السدة وصيد الأسماك وهي آخذة في النمو والتوسع.

(٣) لواء الديوانية:

- لواء واسع الأرجاء يمتد على فرعي شط الحلة وشط الهندية ومحصور بين الحلة وكربلاء والكوت والمنتفك وتحده الصحراء من جهته الغربية.

مركزه قصبة الديوانية وهي واقعة على ضفتي فرع شط الديوانية المتفرع من نهر الحلة ويصل الجانبين جسر حديدي. وكانت الديوانية في بدء أمرها ديواناً (مضيفاً) للخزاعل ثم أشيدت فيها البنايات للسكنى وهي مدينة جميلة فخمة المباني وعلى الأخص دواوين الحكومة ففيها سراي

قل أن نجد له قريناً في العراق. وتحف الديوانية البساتين والمزروعات وتسقى كل أراضيها بالمضخات ولهذا اللواء ناحية واحدة هي الشافعية تتبعه مباشرة وله أربعة أقضية هي أبو صخير والشامية وعفك والسماوة.

قضاء ابو صخير:

- مركزه قصبة أبو صخير وهي واقعة في رأس الزاوية التي بين الساحل الأيمن من نهر المشخاب وفرع نهر جحات وهذه القصبة حديثة. سميت بهذا الاسم لوجود سن صخري في قعر النهر وآثار هذه الصخرة باقية ترى عند جفاف النهر وأغلب سكانها من الموظفين والمتعلقين بهم ولا بأس بمساكنها وهوائها. تحيط بها البساتين من كل صوب إلا من جهة طريق النجف وللقضاء ناحيتان الحيرة والفيصلية.

ناحية الحيرة: - هي القصبة القائمة على أنقاض بلدة الحيرة القديمة وفيها سوق طويل مظلم والحيرة تبعد ميلاً واحداً من جنوب مركز القضاء وتقع على قناة البديرية المتشعبة من جحات والمدينة آخذة بالتقهقر حيث قضت ناحية الفيصلية على كل تجارتها تقريباً.

ناحية الفيصلية: - مركزها قصبة الفيصلية واقعة على ساحل الشط الأصلي في وسط مزارع الشلب وهي مركز تجاري لأهالي المشخاب وتبعد عن مركز القضاء سبعة أميال. جاداتها عريضة وأسواقها منظمة وأغلب دورها من الطبقة الراقية ويرجى لها مستقبل عظيم في العمران لأنها في وسط الأراضي الزراعية وقد عرف أهلها بالبذخ والترف واشتهروا بالكرم ولا تزال خصال قدماء العرب النبيلة ظاهرة بجلاء بين ربوعها.

قضاء الشامية:

- أراضي هذا القضاء ممتدة على ساحل نهر الشامية وكانت تسمى قديماً (الحميدية) لأنها انشئت في زمن السلطان العثماني عبد الحميد ابن

عبد الحميد وتبعد عن النجف ٣٠ ميلاً تقريباً ويربط جانبي القصبة جسر خشبي وسراي الحكومة فخم كما أن بعض بناياتها عامرة وتحيط بها البساتين من كل الجهات وأكثر الزراعة فيها الشلب وهواؤها غير صحي لا سيما في موسم الصيف فتكثر فيها الملاريا لكثرة المستنقعات التي تحيط بها ونواحيها هي هور الدخن. الغماس. الصلاحية. الشنافية.

ناحية هور الدخن: - مركزها قرية أبو شورة الواقعة جنوب الكوفة وتبعد عنها خمسة كيلومترات وهي على الضفة اليمنى من الفرات وليس فيها عمارات تذكر سوى مركز سراي الناحية.

ناحية الغماس: - مركزها قصبة الغماس وتبعد عن الشامية ١٦ ميلاً وهي واقعة على الضفة اليسرى من شط الشامية ويربطها بالساحل الأيمن جسر خشبي وتكاد تكون هذه الناحية بأسرها ملكاً لآل أبي طبيخ وقد شيّدت الحكومة سراياً وبنايات في محل يبعد عن المدينة ميلاً واحداً أملاً في نقلها ولكن العمل لم ينجح لقرب القصبة القديمة من مساكن العشائر ولرغبة الأهلين في عدم إذلال ملك آل أبي طبيخ إذ أن العمارات الجديدة بأسرها ملك غيرهم بينما القديمة هي بالعكس.

ناحية الصلاحية: - تقع بين أراضي قضائي الهندية والشامية وتبعد نحو سبعة أميال عن غربي مركز القضاء وهي عبارة عن مجموعة عرائش وليس فيها من العمارت غير سراي الحكومة. ولولا الأراضي الزراعية المهمة التي تحيط بها لما جعلت مركزاً للناحية أما نفس القصبة فلا أهمية لها البتة.

ناحية الشنافية: - وهي واقعة شرق القضاء وتبعد عنه ٤٢ ميلاً وكانت قبل مد السكك الحديدية العراقية مركزاً تجارياً للحبوب فترد إليها كثير من السفن الشراعية لنقل الحبوب إلى البصرة ويؤمها كثير من العشائر الرحالة أما اليوم فأخذت تسير إلى التأخر السريع.

قضاء عفك:

- مركزه قصبة عفك وهي تقع على الضفة اليسرى من فرع شط الحلة وتبعد عن الديوانية ٢٠ ميلاً وهي مدينة قذرة الأسواق معوجة الطرقات كثيرة الرطوبة لارتفاع منسوب المياه عن أراضيها ويربطها بالضفة اليمنى جسر خشبي وسراي الحكومة فيها فخم جدًا وهي مركز تجاري للعشائر المحيطة بها وأهم قراها آل بدير والفوار وتتبعها ناحية واحدة هي الدغارة.

ناحية الدغارة: - مركزها قرية الدغارة وتبعد ١٠ أميال عن الديوانية وهي واقعة على الشاطىء الأيمن من نهر الدغارة ويربطها بالجانب الأيسر جسر خشبي متين. هواؤها جيد وسوقها مظلم غير صحي ويسكن ضواحي هذه الناحية أشد عشائر العراق بأساً وهم الذين أبلوا البلاء الحسن في أيام الثورة العراقية ويشهد الكل لهم بصلابة العود وقوة البطش وأهم قراها قلعة آل شخير وقرية آل فاضل.

قضاء السماوة:

- مركزه قصبة السماوة ويبعد عن الديوانية ٧٠ ميلاً ويقسمها نهر الفرات إلى قسمين ولبناياتها التي على النهر مناظر خلابة. أسواقها وسخة وهواؤها عذب وأما مياهها فمالحة لا تصلح للشرب صيفاً لأن (مبازل) الشلب والأهوار تتصل ببعضها وتصب في النهر بالقرب من السماوة وللمدينة مكانة تجارية سامية في الفرات الأوسط ويصل جانبيها جسر خشبي وفيها عمارات فخمة وللقضاء ثلاث نواح هي: الرميثة. الخناق. الخضر.

ناحية الرميثة: - هي ناحية جميلة المنظر. أسواقها كثيرة وعامرة ومركزها قصبة الرميثة التي تبعد عن الديوانية ٤٠ ميلاً وتقع على جهتي الفرات ويربط جانبيها جسر خشبي وكل دواوين الحكومة واقعة على

الجانب الأيمن من النهر وتكتنف هذه الناحية الحدائق والبساتين وهي مركز لتموين العشائر الرحالة وأهم قراها قرية القاسم.

ناحية الخناق والخضر: - ليس في هذين الناحيتين ما يستحق الذكر والعناية ولذا أهملنا شرحهما.

-٢-

المدن القديمة في الفرات الأوسط

ظهر للباحثين أن القسم الجنوبي من بلاد العراق دخله البشر بعد أن انسحبت عنه المياه بينما الآثار التي عثر عليها العلماء تدل على أن القسم الشمالي من العراق اجتمع فيه البشر في فجر التاريخ. وأسس فيه دويلات أصبحت بعد ذلك من الممالك الكبرى.

وكلما انسحب البحر بتراكم الأتربة فيه ترك وراءه بحيرات وجزراً تجف بعد ذلك بتأثير حرارة الشمس فيتصل بعضها ببعض وتصبح أرضاً مستوية. أما الأنهار فتتقدم بمياهها نحو البحر وتشق هذه الأرض المستوية وتفتح لها طريقاً لا يبقى على اتجاه أو مجرى واحد بل كثيراً ما يتغير اتجاهه بتراكم الطمى.

ويظهر أن مجرى الفرات في عهد السومريين والأكديين والبابليين كان غير مجراه الحالي إذ كان في قعر شط النيل وشط الكار فأطلال (سيباد. كوتي. كيش. نيبور) وكلها تقع على ضفة شط النيل أما أطلال (كيسورة. شترباك. أوروخ) فتقع على شط الكار وهذا الشط هو امتداد شط النيل في جنوب عفك الحالية. وفي الجنوب ترى أطلال (آداب واوما) وهي واقعة شرقي مجرى الفرات الحالي وكذلك أطلال (لارسة) القديمة وإننا نرى اليوم أطلال مدينة (بابل) بعيدة عن مجرى الفرات الحديث.

وليس من شك في أن أمكنة هذه المدائن وحدها تدل دلالة قاطعة على أن الفرات غيّر مجراه وأن واديه فيما مضى غير واديه الآن.

وحيث أن المياه تقوم الركن الأساسي من الحياة لذا يغير السكان محالهم بتغير مواضعه فيشيدون المدن في محال وتغدو بعد أن يغير النهر مجراه عنها أثراً بعد عين ولذا نجد كثيراً من المدن قد اندرست لرحيل أهلها عنها. ويظهر للأثري الذي يريد زيارة الفرات أطلال هذه المدن لا تزال ظاهرة للعيان.

المدن التاريخية

(أ) آدب (بسمايا):

- تبعد ٢٥ ميلاً عن جنوب (نفر) وشرقي (آل بدير) وخرائبها واقعة في صحراء قاحلة وقد حفرت بعثة أثرية بئراً فيها فعثرت على دار سنة ١٩٠٣ إلا أن البئر اندرست لتراكم الأتربة والرمال المتطايرة فيها وقد حكمت البلاد فيها أسرة ملكية عام ٢٥٠ق.م.

(ب) شربناك (فارة):

- لقد جاء في المتن البابلي أن شورباخ كانت قبل الطوفان وتزعم الأساطير السومرية أن بطل الطوفان (دم نيشتم) ويظن أنها أصيبت بكارثة فخمد ذكرها. جرت فيها الحفريات من قبل بعثة المانية سنة ١٩٠٢ - سنة ١٩٢٣ فعثرت فيها على آثار وقبور بدت قبل ٢٥٠٠ سنة والكتابات التي فيها خطية تشبه بعض الكتابات التي وجدت في كيش.

(جـ) سرادة واناه واسادوم:

- تبعد عن الديوانية ١٣ ميلاً ويمر بها قطار البصرة وقد رمم هيكلها بختنصر وهي تمتد ميلين من الشرق إلى الغرب.

وعلى بعد ميلين من بلدة أبي صخير يشاهد قصر الخورنق والسدير والصنين وهي قصور كانت مركزاً للمناذرة أبان حكمهم.

ولا يوجد في لواء كربلاء أثر قديم سوى قصر الأكيدر (الأخيضر) ويقال أن بانيه الملك الأكيدر أحد ملوك المناذرة. والكوفة التي انشئت في صدر الإسلام.

(د) لارسا سنكرة:

- تقع خرائبها على الشاطىء الغربي من مجرى الفرات القديم وتبعد ١٥ ميلاً جنوبي شرقي (ابريخ) وقد أسست هذه البلدة حول هيكل (أي - بابار) إله الشمس وإله العدالة وكانت فيما مضى عاصمة لإحدى الأسر التي حكمت القسم الجنوبي من بلاد بابل بين سنة ٢١٠٠ - ٢٠٠٠ق.م. وقد احتلها العيلاميون أثناء قيام الفتن والمشاحنات الداخلية للمدينة وأثناء نهوض السلالة البابلية على (لارسا) وجعلوها مركزاً للهجوم على (ايسين) وأصبحت المدينتان خاضعتين للامبراطورية البابلية.

(هـ) كوتة (تل إبراهيم):

- تبعد عن المسيب أو عن كيش ١٨ ميلاً وقد أقيم في كوتة هيكل (أي - ميسلام) ومنصة البرج وهيكل (أي - نانار) بيت القمر الجديد وقد كانت موضع الاحترام لأنها مركز للأفكار الدينية.

(و) كيش (تل الاحيمر):

- تبعد ٩ أميال عن شرقي بابل ويمكن الوصول إليها بالسيارة وهي عبارة عن رواب مخروطية الشكل كبيرة الحجم. وكيش موطن لهيكل إله الحب (ايلبابا) وزوجته (اشتار) وتزعم المنقولات إنها كانت عاصمة الملك بعد الطوفان وقد جرت فيها الحفريات من قبل بعثة فرنسية عام ١٩١٣ ومن قبل بعثة أميركية سنة ١٩٢٣.

(ز) بابل:

- تقع أطلال بابل شمالي الحلة على بعد ثلاثة أميال منها وهي بعيدة عن شط الحلة وقد كان النهر يمر بها قديماً إلا أنه بعد عنها بعد أن غير مجراه.

وتظهر خرائب بابل ممتدة واسعة متشابهة وقد جرت فيها الحفريات

من قبل بعثة المانية عام ١٨٩٩ - ١٩١٥ والآثار الباقية تدل على أنها شيدت في زمن الآشوريين ومنها ما شيد في زمن دولة بابل التي أسسها (نبو بولاصر) وترى أغرب الأعمال الفنية التزيينات على أسوار وحيطان المدينة بأشكال غريبة كالأسود والوحوش الخيالية ملونة بألوان ثابتة وبارزة الحفر.

وبقيت بابل بعد هجوم الفرس محتفظة بمقامها السامي ومركزها التجاري حتى سنة ٣٣١ق.م. إذ ظهر الاسكندر من الغرب وقهر داريوس الملك الفارسي في واقعة (أربيل) وبموت الاسكندر قلت أهمية بابل واندرست معالمها أخيراً عندما استبدل (بلوقس) تشييد سلوقية عاصمة جديدة له على نهر دجلة.

بورسيبا (برز نمرود):

- تبعد أطلال بورسيبا ثمانية أميال عن الحلة ويمكن الوصول إليها بالسيارة وهي تختص بالمعبود (بنو) ابن إله البابليين (مردخ) والبرج الذي فيها ثبت حرقه قطعة قطعة بحرارة شديدة فصيرته زجاجاً وإن حرق برج الهيكل في ذلك السهل الفسيح المنبسط لهوامر مشهور.

نبور (اونفر):

- تبعد عفك عن الديوانية ٢٣ ميلاً ونفر واقعة بجوار عفك إذ تبعد عنها أربعة أميال وتقع خرائب نفر على الساحل الشرقي من نهر النيل القديم وهي شعراً له (اتيلبل) أو (بعل) وقد جرت فيها الحفريات من قبل بعثة أميركية عام ١٨٨٧ - ١٩٠٠م.

ايسين، إيشان او (بحريات):

- رابية تبعد ١٨ ميلاً عن جنوبي نفر وكان لا يعرف عن هذه المدينة شيء إلا أن الأستاذ (كنلدن) أثبت بزيارته الأخيرة أن بختنصر الثاني رمم مباني ايسين في عهد الدولة البابلية.

-٣-

بحث موجز عن الفرات

الفرات نهر عظيم من أنهار العالم، يجري هذا النهر بأراضي تركية وسورية والعراق ويتكون في البداية من نهرين أحدهما الفرات الغربي والثاني الفرات الشرقي، فالفرات الغربي مكون من فرعين يتبعان من الجبال الكائنة بالقرب من بايزيد من أعمال أرضروم، والفرات الشرقي ينبع من جبل روملي قرب أرضروم ويتصلان بعد أن يجريا في أراضي الجزيرة العليا في محل يسمى (كيان معدن) ويسمى النهر المكون من النهرين المذكورين الفرات.

ينساب الفرات في أراضي الجزيرة العليا حتى يمر بالقرب من ملاطية فينحرف حينئذ نحو الشرق فيمر غرب ديار بكر ثم ينساب غرباً وينحرف جنوباً فيعرج على أراضي سورية ويدخلها من طرابلس من النقطة التي بها جسر الخط الحديدي (حلب - نصيبين) فيمر بمسكنة ويكون قريباً من البحر الأبيض المتوسط واعتباراً من مسكنة يغور النهر في واد عميق فينساب حتى يصل دير الزور فالميادين فألبو كمال ومن دير الزور حتى القائم تكون الأرض على جانبي النهر مسطحة قابلة للزراعة وبعد مسافة أميال قليلة يصب تابع بالخ بالفرات، وبعد المدينة بمسافة عشرين ميلاً يصب نهر الخالور بالفرات وهو من أهم التوابع له.

فيدخل الفرات أراضي العراق من القائم الواقعة غربي عانه فينساب بعد ذلك شرقاً فيمر بعانه ثم يجري بين أراضي مرتفعة مرة ثانية وينتهي من هذه الأراضي قبل أن يصل قصبة الرمادي بين هيت - رمادي، وبعد الرمادي يتجه نحو الجنوب الشرقي حتى يصل المسيب وفي جنوب المسيب بخمسة أميال ينشطر الفرات إلى شطرين.

وكانت مياه الفرات قبلاً تجري من الشمال إلى الجنوب مارة بمدينة الحلة فالجربوعية (الهاشمية) ويبعد ١٠٤ كيلومترات عن الصدر يتفرع إلى فرعين الفرع الأيمن وهو يمر بالديوانية فالحمزة فالرميثة ثم يصب بالسوير بالقرب من السماوة ويلتقي بالفرات في الناصرية، ويمر الفرع الأيسر بقرية الدغارة فعفك ويصب ماؤه في هور عفك ومنه في شط الكار ويترك السماوة على الضفة اليمنى ويجري متجهاً نحو الجنوب الشرقي ويترك الناصرية عن يساره وسوق الشيوخ عن يمينه ثم ينعطف نحو الشرق ويمر بالحّمار فالمدينة في ترعة متصلة بهور الحّمار ويلتقي بنهر دجلة جنوبي القرنة. وحدث حوالي سنة ١٧٩٠م إن زار العتبات المقدسة المهراجا الهندي المعروف آصف الدولة فتبرع بحفر وتوسيع القناة من شط الحلة إلى ضواحي النجف مدفوعاً بعاطفة دينية وأن انخفاض سطح هذا الجدول عن الأرض الواقعة على ضفتيه وانحدار الأراضي الطبيعية وتراكم الأتربة في قعر شط الحلة أثرت فيه فأصبح نهراً عظيماً قبل أكثر من سبعين سنة وبذلك حول الفرات مجراه وأخذت المياه تقل في شط الحلة تدريجاً خصوصاً بعد أن سد الوالي العثماني مدحت باشا قناة الصقلاوية التي كانت تجرف المياه من شمالي الفلوجة وتصبها في هور عقرقوف لإنقاذ بغداد من الغرق، وكانت القناة تخفف حمل الوادي في الطغيان لأنها تأخذ كمية كبيرة من مائه وتصبها في الهور وبعد أن انسدت القناة كثرت المياه في مجرى الفرات فتسلطت على شط الهندية وأخذت تجمع الأتربة في قعر شط الحلة حتى قلت كمية المياه فيه

ولم تعد تصله المياه إلا في موسم الفيضان وهكذا اندرست مزارع الحلة واضطر سكانها إلى النزوج فاهتم رجال الأمر من الأتراك فطلبوا المهندس السير ويليم كوكس لإبداء رأيه وبعد أن درس المشروع أقام السدة الموجودة جنوب بلدة المسيب بخمسة أميال، وإنها أعظم واسطة لتقسيم المياه بين فرعين كبيرين فرع الحلة وفرع الهندية، وهناك فروع أخرى انشئت لإرواء الأراضي في مواسم الزراعة.

وبعد أن يعبر الفرات سدة الهندية يجري نحو الجنوب ويمر بقصبة طويريج وينعطف بعد ذلك نحو الجنوب الشرقي تاركاً الكفل عن يساره وفي جنوب الكفل بكيلو مترين ينشطر الفرات إلى شطرين يمر الشطر الأول ببلدة الكوفة ويتركها عن يمينه فأبي صخير وهنا يتفرع هذا الشطر إلى فرعين يسمى الفرع الأول منه نهر (چحات) ويتجه الفرع الثاني إلى الجنوب ماراً بقصبة الفيصلية الجميلة. ويتفرع من نهر (چحات) قنوات هي: قناة الأمير غازي قناة الفيصلي وقناة الهاشمي ويصب شط (چحات) في هور أم بزونة ثم في هور أصليب.

-٤-

مياه ألوية الفرات الأوسط

بينا كيف بدل الفرات مجراه، وكيف تلفت أكثر المزارع في لواء الحلة وجزء من لواء الديوانية، وكيف أقيمت السدة. والسدة أعظم عمل قام به الأتراك في العراق وأصبح بعدها بالإمكان إرواء الأراضي وتقسيم المياه للمزارع في مواسمها حسب ما تقتضيه الحاجة. وألوية الفرات تروي مزارعها من شطي الهندية والحلة وقنوات أخرى أهمها: الاسكندرية - قناة المسيب - قناة الناصرية - قناة الحسينية - قناة بني حسن - قناة الجورجية وغيرها.

(مياه لواء كربلاء):

قناة الحسينية: - تتفرع من الجهة اليمنى من شط الفرات ومعدل ما تأخذه من الماء في النبوة العالية ٨ أمتار مكعبة وتجري بعد مسافة قصيرة من جنوب المسيب غرباً حتى تأتي كربلاء وتبعد ميلاً واحداً عن البلدة. وفي طريق (كربلاء - بغداد) انشئت دائرة الري ناظماً بمحل يسمى (قنطرة البيضة) وهو ناظم فني ذو أبواب حديدية ترفع بمفتاح لولبي يدار باليد لتوزيع المياه بين المقاطيع حسب الاحتياج وتنتهي قناة الحسينية بأراضي الرزازة الواقعة بأطراف هور أبو دبس والعائدة إلى عشائر عنزة.

وتسقى ناحية شفاثة من العيون الموجودة هناك وهي محرومة من كل نهر أو قناة لبعدها عن الفرات، ولأنها واقعة في وسط الصحراء.

وتسقى مزارع الكوفة ونخيلها من النهر بواسطة الكرود والنواعير وقد أخذت المزارع والبساتين تضمحل أخيراً ويمكن إرواؤها بتمديد قناة بني حسن إلى أراضي الكوفة بعد إجراءات فنية والأمل وطيد أن يتم هذا المشروع عاجلاً.

وتسقي أراضي النجف من نهر الأمير غازي المتفرع من شط (چحات) وهو الفرع الأيمن لشط أبي صخير والذي يأخذ مقدار (٣) أمتار مكعبة في النوبة العالية. ويمتد (٢٨) كيلومتراً وقد وضعت دائرة الري التصاميم لتوحيد أنهر هذا الجدول مع إنها عملت شلالين الأول في كيلو (٧) والثاني في كيلو ١٢/٥ لترفع مستوى المياه بنسبة الأراضي كي تتمكن من إروائها بصورة فنية عادلة.

(مياه لواء الحلة):

قناة الاسكندرية: - تتفرع من الجهة اليسرى من شط الفرات ومعدل ما تأخذه من الماء في النوبة العالية خمسة أمتار مكعبة في الثانية وأهم المقاطعات التي ترويها هذه القناة هي مقاطعة مويلحة ومعدل ما تأخذه من الماء (٦) أمتار مكعبة.

قناة المسيب: - واقعة في شمالي بلدة المسيب وتسمى (نهر المسيب) أيضاً ومعدل ما تأخذه من الماء أربعة أمتار مكعبة في الثانية وتمتد (٢٤) كيلومتراً.

قناة الناصرية: - واقعة جنوبي بلدة المسيب وتسقي أراضي المسيب أيضاً ومعدل ما تأخذه من الماء (٤) أمتار مكعبة.

قناة الجورجية: - تتفرع هذه القناة من الجهة اليسرى من شط

الفرات في مقدم السدة وقد انشئت هذه القناة بعد الاحتلال العسكري ومعدل ما تأخذه في النوبة العالية (١٨) متراً مكعباً في الثانية. . . تجري هذه القناة موازية لشط الهندية وتسقي أراضي الشاطىء الأيسر من قضاء الهندية وتنتهي في أراضي المويهي العائدة إلى ناحية هور الدخن. ويبعد ٦٧ كيلومتراً عن الصدر وقد انشئت فيه دائرة الري نواظم فنية لتوزيع المياه بين المزارع منها ناظم الحميدية ويبعد (٢٣) كيلومتراً عن الصدر وناظم (حركة) الذي يبعد (٤٢) كيلومتراً وناظم الكفل ويبعد (٦٠) كيلومتراً وأهم الأنهر المشعبة من هذه القناة نهر السنية - الحميدية - أبو غرق - الكص - أبو سبعين - الرستمية - الشهابية - المويهي.

قناة بني حسن: - تتفرع هذه القناة من الجهة اليمنى من شط الفرات من مقدم السدة ومقدار ما تأخذه من الماء في النوبة العالية تساوي (١٤) كيلومتراً مكعباً في الثانية.

يجري هذا الفرع جنوباً موازياً شط الهندية ويسقي الأراضي الواقعة بين الهندية والصحراء التي ضمن قضاء الهندية وقسماً يسيراً من أراضي لواء كربلاء ويتوغل في الأراضي حتى ينتهي شمال الكفل ويجري ٧ كيلومترات في أراضي بني حسن ويمتد (٦٧) كيلومتراً وقد نظمت دائرة الري توزيع المياه في هذه القناة إذ أنشئت فيه جملة نواظم فنية حسب احتياج الزراع وهي: ناظم الدويهية ويبعد ١٧/٥ كيلومتراً، ناظم شط ملة ويبعد (٢٦) كيلومتراً عن الصدر، ناظم المخلط ويبعد (٣٨) كيلومتراً عن الصدر، ناظم الوسمية يبعد (٥٢) كيلومتراً عن الصدر، وأهم الفروع المتشعبة من هذه القناة: المشورب - الدويهية - عبد عونيات - شط ملا - الأجدع - شط الحلة.

فرع الحلة: - وكان كما أسلفنا الشط الأصلي وأصبح فرعاً كبيراً يتفرع من الجهة اليسرى من شط الفرات، ومعدل ما يأخذه من الماء في النوبة العالية (١٢٠) متراً مكعباً ويأخذ ماءه بواسطة بوابات حديدية فنية

وتتفرع منه داخل لواء الحلة عدة قنوات كبرى ذات صدور حجرية وبوابات حديدية أهمها:

قناة المهناوية: - وهذه القناة تتفرع من الجهة اليمنى من شط الحلة وتسقي أراضي المهناوية الخصبة.

المحاويل: - وهو يتفرع من الجهة اليسرى من شط الحلة ويسقي أراضي ناحية المحاويل.

نهر النيل: - وهو يتفرع من الجهة اليسرى من فرع الحلة قرب بابل ويسقي أراضي ناحية النيل.

نهر الشاه: - وهو يتفرع من الجانب الأيمن من فرع الحلة فينساب في أراضي لواء الحلة وينتهي بأراض صحراوية.

نهر أعلاج والجربوعية: - يتفرعان من الضفة اليمنى من فرع الحلة ويجريان جنوباً ثم يسقيان كثيراً من الأراضي وينتهيان بالصحراء أيضاً.

الشوملي: - وهذه القناة تتفرع من فرع الحلة من الجهة اليسرى فتنساب متوغلة في أراضي اللواء. ونهر الظلمية العائد لعشيرة ألبو سلطان ويستوعب ٦ أمتار مكعبة من المياه ويبعد (١٠٤) كيلومترات عن الصدر، ويتفرع شط الحلة إلى فرعين: الفرع الأيمن منه وهو شط الديوانية، والفرع الأيسر وهو شط الدغارة ويدخل أراضي الديوانية.

(مياه لواء الديوانية):

شط الديوانية: - هو الفرع الأيسر من الفرات ومقدار ما يأخذ من الماء في النوبة العالية (٣٢) متراً مكعباً في الثانية. يمر بالديوانية فالحمزة إلى قرب الرميثة ولا تسقي هذه الأراضي طول هذه المسافة إلا بواسطة المضخات والنواعير والكرود لارتفاع جانبي النهر، وقبل انشطار شط الديوانية إلى شطرين بمسافة ٨ كيلومترات تبتدىء أنهر السيح وهي

العائدة (لبني عارض وآل أزيرج) ثم ينشطر شط الديوانية شرقي الرميثة بمقدار كيلومترين إلى شطرين الشطر الأيمن منه ويسمى (أبو شويط) والأيسر يسمى (الگطعة).

ويصب شطر أبو شويط عندما يكثر ماؤه (بأبو رفوش) في شط العطشان ويلتقي بالفرات. ويصب شط الگطعة أن كثر ماؤه في بزايز شط السوير قرب جسر بربوتي ثم في شط السماوة. ولا تروى الأراضي طول هذه المسافة إلا بواسطة المضخات عدا أراضي ناحية الرميثة فإنها تسقي سيحاً مع العلم أن ناحية الخناق العائدة لقضاء السماوة تسقي بالمضخات وأن المضخات الموجودة في هذه الناحية تقارب الـ٢٥٠ مضخة تتراوح قواها بين (٧) حصن (٧٥) حصاناً.

إن الفرع الأيمن من شط الهندية يتجه نحو الجنوب فيسقي أراضي المشخاب بواسطة أنهر تتسعب من جانبيه على شكل أفقي بمسافات مختلفة وبانحراف إلى الجنوب متجهة نحو اليمين والشمال وتصب هذه الأنهر ومبازل الشلب جميعها في الجارة الشرقية وهي تصب في نهر الشنافية.

والشطر الأيسر من شط الهندية ويسمى (شط الشامية) يذهب إلى العباسيات فالشامية وبطريقة يسقي هور الدخن والصليچية بواسطة أنهر تتشعب منه أكبرها نهر آل شمخي، نهر الچيچان، المهناوية، وعگر وتصب هذه الأنهر جميعها في هور ابن نجم وثم يجتاز قرية الغماس وبعد أن يروى أراضيها ينتهي بسد الخمس (الغزالي) فيسقي بواسطة هذا السد أراضي السادة (ألبو طبيخ) والمياه الباقية تنحدر من السد فتسقي أراضي الغزالات ثم تصب في (نگارة) الغزالي حيث تصب هذه في العطشان المنحدر إلى الشنافية فيلتقي النهران هناك. وإن المياه المتشعبة من الشطين (شط الشنافية وشط أبي صخير) متسلطة تماماً على الأراضي الكائنة بين هذين الشطين في حالة يمكن إروائها صيفياً وشتاء، ولدى

احتياج الزراع في كلا الشطين إلى رفع منسوب المياه يعملون (السكور) أي يبزن السدود ويتركون فتحة في الشط لا تزيد عن المترين في كثير من الأماكن وعلى مسافات متعددة.

نهر الفيصلي: - يتفرع من نهر چحات على بعد كيلومتر واحد من قصبة أبي صخير ويسقي أراضي الحيرة وبحيرة النجف وطوله (٢٦) كيلومتراً.

الهاشمي: - يتفرع من يمين نهر چحات ويسقي الأراضي التابعة لناحية الحيرة ويجري موازياً لنهر الفيصلي.

شط الدغارة: هو الفرع الأيسر من شط الحلة ومعدل ما يأخذه في النوبة العالية (٢٨) متراً مكعباً مع العلم بأن المياه المتدفقة منه في سنة ٩٣١ وما قبلها (٣٦) متراً مكعباً وإذا لم يطهر فسوف يندرس. ويمر هذا النهر بناحية الدغارة فالجلعة فأبو خايس فعفك ثم ينتهي بقرية البدير ويبعد (٨٠) كيلومتراً عن صدر الدغارة، ويروي كل أراضي ناحية الدغارة. وقضاء عفك وكان قبلاً يتصل بهور عفك فشط الكار إلا أن الأتربة المتراكمة في قعره وسوء إسالة الماء ووضع (الحمول) في مجرى النهر من قبل الزراع وعدم تنظيم الري فيه أثر في مجراه وأصبح ينتهي بقرية البدير، وهكذا حرمت مساحات واسعة من الزرع، وقد اهتمت أخيراً دائرة الري لإصلاحه. وأهم الأنهر المتشعبة من هذا الشط (الحسينية) (الورس) (اجعيچة) (معصومة) (الجوعان) (الشريمة).

-٥-

الري في الفرات الأوسط

إن قواعد الري في الفرات الأوسط غير متجانسة في كل المدن الزراعية فتقسيمات المياه في لواء الحلة وكربلاء أنظم بكثير من الديوانية لكثرة البوابات والسدود والنواظم الهندسية الموجودة وتكاد تكون يد القوة في لواء الديوانية فوق كل شيء فمن أراد غصب ماء غيره وكان أقوى منه سد مجرى المياه وحصل على ما يريد.

ولا يعتمد في الفرات الأوسط على الأمطار لقلة هبوطها فنروي أكثر الأراضي من النهر بواسطة الكرود والنواعير والمضخات وقد أصبح إقبال الزراع على المضخات عظيماً ولا سيما في لواء الديوانية نظراً لأن أكثر الملاكين يملك مساحات كثيرة من الأراضي وباستطاعة المضخات أن ترويها. وتقدر مضخات هذا اللواء بألف مضخة وكلها تسقي أراضٍ غير قابلة للإرواء (سيحاً) بدون واسطة.

والإرواء بطريقة السيح يقسم إلى قسمين:

١ - بدون واسطة فنية ويكون ذلك في الأراضي التي أخفض من سطح النهر كأراضي الشامية وأبي صخير.

٢ - بطرق صناعية فنية ويكون ذلك في الأراضي المرتفعة فتبنى

لذلك السدود ومن تلك الإنشاءات سدة الهندية وسدة الدغارة ونواظم شط الحلة وقناة الجورجية وقناة بني حسن والحسينية والاسكندرية.

أعمال دائرة الري: - قلنا أن شط الحلة قارب الأندراس بعد أن حفرت قناة الهندية وأصبحت أراضية قاحلة لذا أحضر المهندس السير ويليم وانشأ سدة الهندية وهو أعظم بناء شيد لتوزيع المياه كما انشأ صدر قناة بني حسن والجورجية وغيرها. وللسدة بوابات ترفع وتنزل بآلة كهربائية ولذا صارت توزع المياه بين الجداول والأنهار حسب الاحتياج.

وقد شقت حكومة الاحتلال جدول (الجورجية) وسمته باسم ملكها ومدت جدول بني حسن حتى أوصلته قرب الكوفة وقامت بتنظيمات طفيفة في شطي الحلة والدغارة.

وقد أحكمت الحكومة الوطنية السداد على ضفتي الهندية منعاً لحوادث الغرق ولما يخلفه الطغيان من المستنقعات أن دخل الأراضي الزراعية. وقد انشئت ناظمي الدغارة والديوانية لتوزيع المياه بين شطي الدغارة والديوانية. كما أشادت صدور الأنهر المتشعبة من الحلة وقسماً من أنهر أبي صخير. وحفرت بعض الأنهار من شط الحلة وأبي صخير والشامية حفظاً للمياه من التبذير. وأبدلت صدر شط الحلة القديم بآخر كلفها سبعة الكاك ربية لزعم بعض رؤساء دائرة الري بأن الصدر القديم قارب الانهدام وغير كاف لاستيعاب المياه الكافية وعينت المهندسين الذين تحتاج إليهم أكثر المناطق الفراتية.

ومع كل ما ذكرناه فالري لا يزال في بدء تقدمه ويمكن القول أن المبالغ التي صرفت لمشاريع الري جسيمة جدًّا بالنسبة للأعمال التي تمت في الفرات الأوسط. ولا يمكن القول بأن كل ما قامت الدائرة كان للنفع العام فكثير من الأعمال تمت على حساب الخزينة ولم تكن الغاية منها إلا نفع أشخاص معدودين ليزداد تمركز حكمهم الإقطاعي ومن تلك الأعمال

حفر نهري النيل والزرفية من شعب نهر الحلة ومشروع نهر آل صكب المتشعب من شط الدغارة ونهر الهزامية المتفرع من شط الشامية فكلها انشئت لحساب أشخاص معدودين. فكان ذلك أمراً أنقص كمية كبيرة من مياه النهر وهو السبب الذي قطع المياه عن آل بدير وترك المساحات الواسعة (بوراً).

تقدم الري: - لتقدم الري في الفرات الأوسط يلزم مراعاة أمور عديدة أهمها:

١ - يلزم أن ترصد في ميزانية الدولة مبالغ كافية لدائرة الري لأن البلاد بحاجة إلى أعمال فنية كثيرة.

٢ - يجب عدم إعارة بعض الوصايا التي طلبها منشأ السدة السير ويليم لأن الرجل لاحظ مصلحة بلاده قبل مصلحة العراق وطلب القيام بأعمال لا تتناسب فوائدها مع المبالغ الجسيمة التي تحتاج إليها تلك الأعمال. ثم أن تولي بعض المراكز المهمة من قبل الانكليز أمر سهل لهم السير على منوال سلفهم. فيلزم تسليم أزمة تلك المراكز إلى أبناء البلاد (ما حك جلدك مثل ظفرك).

٣ - يلزم تجريد موظفي الإدارة من سلطة التداخل في إدارة الري لأن ذلك ليس من اختصاصهم فهم يتخذون أمور الري واسطة لحل بعض المشاكل الإدارية.

٤ - في الفرات مشاريع كثيرة سارت شوطاً وأوقفت لمجرد صدور أمر من الإدارة. ولو تمت لدرت على البلاد خيرات جسمية منها حفر النهر الذي شرعت به دائرة الري لإرواء أراضي الفوار البالغة مساحتها ٦٠,٠٠٠ مشارة والواقعة في لواء الديوانية على أن يتشعب النهر من قرب الديوانية وينتهي بأراضي أم الكطة الصغيرة ضمن قضاء الحي. فقد شرعت الدائرة بمسحه وتخطيطه وأرصدت المبلغ الكافي له وصرفت

(٢٥) ألف روبية منه فأوقف العمل وأهمل المشروع ولو كان قد أنجز لزاد في إيراد الدولة وضمن إعاشة ألوف من العشائر. ولم يكن السبب الذي دعا إلى إيقاف العمل غير عرائض قدمها رؤساء كل من عشيرتي آل فتلة والأكرع كل منهما يدعي حق ملكيتها فألحقت باقتراح إداري يحبذ ترك العمل إلى أمد غير معين وهكذا فقد نفذ الاقتراح. وكان ذلك سنة ١٩٣٠م.

وإليك المثل الثاني الذي يبين تأثير الإدارة على أمور الري: - قررت دائرة الري توحيد الأنهر التي على شط الدغارة ووضع الأنابيب في صدرها منعاً لتبذير المياه ورغبة في إيصالها إلى أراضي آل بدير المندرسة فقد أصبح أهلها بحالة تستحق الرثاء. فشرعت الدائرة بالعمل وأحضرت لكل زارع أنبوباً يستوعب كمية كافية من الماء لما يزرع من أرضه فقط وبدأت بنصبه فاحتج الزراع على ذلك ودمروا الأنابيب وخربوا الحفر بالقوة وأعقب كل ذلك اقتراح إداري يحبذ تأجيل العمل وهكذا كان للاقتراح ما أراد فذهبت كل المصروفات إدراج الرياح وحرمت مساحات واسعة من الزرع وبقي أهلها قرناء البؤس والفقر ثم لم تكتف الإدارة بذلك بل اقترحت إرصاد مبلغ (١٢) ألف دينار لحفر نهر آل صكب تزويداً لنفوذ أهله.

٥ - مراقبة السداد وأمور الري في قضائي الشامية وأبي صخير منوطة بالإدارة وكل نزاع يحصل حول المياه في هاتين المنطقتين يحله مجلس المحكمين ينتخبهم الطرفان تحت إشراف الإدارة وقد يصحب المجلس مهندس ليس له أن يبدي أقل رأي في الأمر.

٦ - إن هبط الماء أيام النقصان يسد كل رئيس عشيرة النهر ولا يترك غير فتحة صغيرة يجري منها الماء ويكون السد بالحشائش والتراب لأنه موقت. وغايته من ذلك رفع مستوى الماء عن أراضيه ليتسلط عليها وكلما هبط الماء ضيق الفتحة ولا تخفى الأضرار الناتجة من ذلك فيحرم قسم

عظيم من الزراع من الماء إن لم تكن أراضيهم في الصدور وعلاوة على ذلك فالترسبات تكثر وبذا تتقدم النكارات في الأراضي.

٧ - وهناك سبب آخر يدعو إلى تأخر الري وهو قانون تمليك الأراضي الأميرية والتصرف بها بالشكل الحاضر الذي يترك صاحبها مهملاً لجميع أمور تحسنها ولو أن ذلك يكلفه عناء بسيطاً إذ أنه لا يدري متى تنتزع من يده ولهذا السبب لا يشق أبسط نهر ولو توخى منه أجسم الفوائد.

هذا ما تيسر ذكره من المباحث التي يؤمل أن تدعو إلى تقدم الري في هذه الفترة.

-٦-

الزراعة في الفرات الأوسط

إن تربة الفرات تكاد تكون جميعها تربة كلسية صلصالية كونتها ترسبات البحر في الزمن القديم وهذه التربة صالحة للزراعة قوية الإنبات كان يضرب بأراضيها المثل ولذا عاشت في الفرات دول قوية وأشادت صروحاً وخلفت آثاراً تدل على عظمتها بيد أن خيراته قلت بعد هجوم التتر وطيلة أيام الحكم العثماني فقد أهملت الإصلاحات ومن نتيجة هذا الإهمال اندرست الترع والقنوات وانتشرت الأمراض واختل الأمن واضطربت الأحوال فقلت النفوس وحل من كل هذا الدمار. وفي الفرات اليوم أراض خصبة لا زرع فيها ولا نبات وسبب ذلك يرجع لاندراس أنهارها ولعدم تنظيم الري فيها ولقلة الأيدي العاملة. كأراضي الفوار وآل بدير وقسم غير قليل من أراضي ألبو سلطان وغيرها.

وفي الفرات الأوسط أراض واسعة المساحة تغطيها المياه على الدوام لانخفاض أراضيها تسمى «أهواراً» وهي قابلة للزرع أن أصلحت وسلط عليها (الدهلة) أيام الفيضان كهور ابن نجم والوريجي وأبو دبس.

وتوجد أرض واسعة تغطيها قشرة تعرف بالشورة وما هي إلا أملاح يمكن إزالتها بسهولة بيد أن جهل الزراع يحول دون معالجتها.

وهناك مساحات أخرى مزروعة فيها أراض دكناء ندية تحتفظ

بالرطوبة حتى في الحر الهجير أيام الصيف وهذه التربة عبارة عن الأملاك التي يرفعها الماء لتبخر إلى سطح الأرض وهذه الأملاح تمتص الرطوبة من الجو فتبقى ندية على الدوام.

وقد أثر وجود (النگارات)[1] على قسم عظيم من مزارع الشلب وحرم البلاد من خيرات عظيمة وهكذا ترك الألوف من أبناء هذه البلاد يقاسون آلام الفقر وإذا لم تتخذ الحكومة التدابير اللازمة لهذه الآفة فستتقدم تدريجاً وتقضي على زراعة الأرز في الفرات وإن حدث - لا سمح الله - ذلك فستتضرر الخزينة ضرراً وخسارة عظيمة لا تعوض وستؤل حالة الزراع إلى حد لا يمكن وصفه من البؤس.

ومما يؤخر تقدم الزراعة في الفرات الأوسط الأوضاع الراهنة المتبعة كأحكام الإدارة وأصول التصرفات بالأراضي الأميرية. ولو أن يد التعمير والإصلاح امتدت إلى هذه الربوع لأصبح العراق في مقدم الأمم الزراعية العالمية بفضل الفرات.

والزراع هناك لا يعتنون باختيار البذر الصالح ولا يفرقونه عن المواد الغريبة عنه كالدنان ولذا تراه ينمو مع الزرع ويسبب له أضراراً جمة. والمزروعات إما أن تكون صيفية أو شتوية.

(المزروعات الصيفية)

هي المزروعات التي تزرع في أوائل الصيف وتحصد في الخريف وأهمها الأرز. السمسم. الدخن. الماش. الباقلاء.

الأرز: - يكثر في قضائي الشامية وأبو صخير وكان يزرع قبلاً في

---

(١) النكارة - الشلالة: هي نزول ماء النهر من محل مرتفع إلى أخفض منه وتنشأ من رخاوة الأرض وعدم تساوي تسريحها فالتسريح في قعر الجداول الفنية ١ - ١٠٠٠٠ ووجد ذلك ١ - ٢٠٠٠ في النكارة وقد كثرت ذلك في الفرات لرخاوة أرض النهر.

كثير من نواحي الفرات ولكن الأراضي التي كان يزرع فيها أصبحت الآن مزارعاً خاصة بالشتوي اقتصاداً بالمياه ولعدم وجود المبازل. وإن دائرة الري توزع المياه كل تسعة أيام في الشط الأصلي صيفاً يقابلها أربعة للقنوات والأنهار المتشعبة من مقدم السدة. وفي الشتاء عكس هذا الأمر. ومع هذا الاقتصاد في المياه فالشكاوى تترى تشكو عجز المياه عن سد النقص - وذلك لعدم تنظيم أمور الري طبعاً - ولذا خصصت الحكومة لكل زارع مساحات معلومة لا يمكنه زرع أكثر منها.

طريقة زرع الأرز: - تختار لزراعة الأرز الأراضي القريبة من الأنهار والجداول ليتسلط الماء على الزرع مباشرة فيقلب الفلاحون الأرض ثم يبذرون البذر ويكون ذلك من نهاية شهر مايس حتى أواخر شهر حزيران وبعد ذلك يستمر السقي بدون انقطاع خاصة لنوع العنبر منه حتى تنضج الحبة ثم يقطع الماء ويترك السنبل ١٥ يوماً حتى يجف.

ويلزم أن يكون لأراضي زرع الأرز مبزل ينحدر إليه الماء ليبرد فبقاء النبتة محاطة بالماء الحار يضعفها.

ينضج الأرز في شهر أيلول ويحصد في تشرين الأول ويكوم في الأجران وبعد أن يداس ينقل إلى المدن بواسطة السفن الشراعية وهناك يجرش ويصبح صالحاً للأكل بعد (تهبيشه).

والشلب يزرع على نوعين:

(١) **الثار**: وهي أن ينثر البذر ويسقى حتى ينضج ويحصد وثمر هذا النوع يكون قليلاً.

(٢) **الشتال**: وهو أن تقلع خصلة من المنثور بعد مضي شهر على الزرع على شرط المحافظة على الجذور وتشتل في محل آخر ويكون ثمر هذا النوع خمسة أمثال النوع الأول تقريباً بيد أن المحافظة عليه وريه يحتاجان إلى عناء كبير.

تقارب المشارة المتعارفة في الفرات الأوسط الـ٥٠×٥٠=٢٥٠٠ متراً مربعاً. ويكون معدل حاصل المشارة ٦٣٠ كيلواً من الرز تقريباً.

السمسم: - لا يزرع في الفرات الأوسط بكثرة ولا تقاس كميته بشيء نسبة إلى الشلب ويبذر في أوائل الصيف.

الذرة: - زراعتها أكثر من السمسم ومحصولها في هذه الأراضي كثير ويكون على الغالب من النوع الجيد. تبذر في نهاية شهر مارت وأوائل نيسان وتحصد في شهر أيلول.

الدُخن: - يزرع في كل نواحي الفرات تقريباً وينثر بذره بين مزروعات الحنطة والشعير أو بين الشلب وقد يزرع في المستنقعات التي كونتها مياه الطغيان بعد أن جفت ويستهلك لتغذية الماشية والطيور وقد يستعمله بعض فقراء الفلاحين للتغذية.

الماش والعدس: - يزرعان في الأراضي الرملية التي كثر مرور الماء عليها ويبذران في نهاية شهر حزيران وينضجان بين شهري أيلول وتشرين أول.

ولا يعير زراع الفرات الأوسط أهمية لغير الشلب من المزروعات الصيفية.

(المزروعات الشتوية):

الحنطة والشعير: - هما أهم المزروعات الشتوية يبذر بذرهما في أوائل شهر تشرين الأول ويحصدان في شهر نيسان أو مايس ومعول زراعة الفرات الشتوية على حاصلهما. ومقامهما التجاري يساعد على العناية والاهتمام بهما. وتزرع الحنطة والشعير في كل الألوية الثلاثة تقريباً غير أن لواء الحلة أكثرها انتاجاً. وفي معظم الأماكن يكون الإسقاء (سيحاً) غير أن هناك تستعمل المضخات والكرود والنواعير في الأراضي المرتفعة.

إذا بذر البذر قبل اشتداد البرد سمي الحاصل (هرفياً) وأما بذر بعده سمي (أفلياً) والهرفي يكون أجود ثمراً إذ أن الحبة يتم نضوجها كما أنه يكون أكثر حاصلاً.

طريقة الزرع: - تجري زراعة هذه الحبوب وحصدها ودياستها بطرق قديمة ابتدائية وذلك أن يزيل الفلاح الأشواك والحشائش باليد وفي بعض الأحوال يغمرها بالمياه تسهيلاً للقلع وإن أراد حرثها سلط عليها سكة فدانه وربط الفدان بدواب تسحبه لتشق السكة الأرض ثم ينثر الحب باليد ويعيد حرثها ليغطي الحب ويقسمها إلى ألواح (مروز) ويبده بالسقي وتكتفي الحنطة والشعير بالسقي أربع أو خمس مرات وإذا تم نضوج الحب يقطع الماء ويحصد الزرع بالمنجل ويجمع أكواماً يسمونها (چديس) ثم تنقل هذه الأكوام وتجمع جنب بعضها وتدعى (بيدر) وبعد ذلك تنزل طبقة أثر أخرى تدوسها المواشي حتى يتم البيدر وإذا هب الهواء اغتنم الفلاح هذه الفرصة وابتدأ بتذرية محصولاته بواسطة آلة بسيطة يسمونها المذراة وهي مكونة من خشبة في رأسها أصابع على شكل أصابع الكف تسمى مراوح.

إن معدل ما تنتجه المشارة الواحدة المربعة يتراوح بين ٣٠٠، ٤٠٠ كيلو من الشعير.

الهرطمان: - يبذر في شهر كانون الثاني وينضج في شهر مايس ويزرع في الفرات بقلة.

الباقلاء: - تزرع في نهاية أيلول وتحصد في شهر نيسان لكنها تنزل إلى الأسواق بكثرة في شهر شباط ولها أنواع مختلفة.

المزروعات الأخرى: - تنمو في الفرات كثير من الأشجار والخضروات أهمها النخيل والرمان والتفاح والخوخ والمشمش

و(العنجاص) والتين والعنب والكمثري وغير ذلك وكلها تكثر في مدينة كربلاء إلا النخل فإنه منتشر في كل أنحاء الفرات.

ويؤلف النخل القسم الأعظم من المزروعات ويزرع بطريقة أخذ الفسيل من النخلة الكبيرة وشتلها في حفر خاصة والاعتناء بسقيها حتى يتأكد شبوثها ومن بعد شتل الفسيلة بـ٤ أو ٥ أعوام تثمر النخلة وثمرها يكون كثمر أمها. والنخلة تتحمل العطش كثيراً. ويثمر النخل في الفرات بكثرة رغم عدم اعتناء الفلاحين به.

ويكون تلقيح النخلة في شهر نيسان إذ يأخذ الفلاح (شماريخ) من طلع الذكر وينثرها على الأنثى بعد فتحها أو أن يضع أحدها بين طلع الأنثى.

وإذا لم تلقح النخلة يكون ثمرها (شيصاً) لا طعم له. وأدوار التمر بعد التلقيح أربعة: البلح. الخلال. الرطب. التمر. ويكون الخلال أحمر أو أصفر أو أسود حسب لون النخلة التي أخذ الفسيل منها. وينضج التمر في شهر أيلول ويكون صالحاً.

وأنواع التمور كثيرة أهمها: الزهدي. الخضراوي. الحلاوي. البربن. الدگل. وغير ذلك.

ويقسم الحاصل بين الفلاح والملاك بالمناصفة إن كان الفلاح قد تحمل نصف المصاريف اللازمة للبستان وأن تحمل أحدهما المصاريف تكون حصته ثلثي الحاصل.

تقسيم حاصلات الحبوب: - يجري تقسيم الحاصل بين الملاك والسركال والفلاح بعد أن تستخرج من أصل البيدر (١) حصة القهواتي الخاص بمضيف السركال باعتبار خاص لكل (طغار) من الحاصل. وبعد كل هذا يسمى القهواتي (خادم) مضيف السركال! (٢) حصة الشوباصي وهو المأمور من قبل الملاك لمراقبة السداد وتوزيع المياه والتطهيرات.

(٣) حصة باسم نفقات المضيف تسمى (البراطيل) وتكون ١/ ٤٠ من أصل المنتوج. وتستخرج أحياناً حصة باسم أجرة الكاتب أو الملا. كما تعطى حصة الوعاظ والفقراء والسادة الذين لهم قدر معين كل عام. وبعد استخراج كل ما مر ذكره يقسم الحاصل إلى ربع للفلاح وثلاثة أرباع للسركال إن كانت الأراضي خصبة جدًّا وإلا فتكون حصة الفلاح الثلث وما بقي للسركال وهذه قاعدة تقسيم منتوج الشلب.

-٧-

طرق المواصلات

تتألف طرق المواصلات في الفرات الأوسط من:

(١) البرية (٢) النهرية. فتكون البرية بواسطة السكك الحديدية والسيارات والعجلات والدواب. والنهرية بواسطة السفن الشراعية والبخارية.

(١) طرق المواصلات البرية:

طرق السكك الحديدية: - يصل المدن الفراتية ببعضها الخط الحديدي الذي بين البصرة وبغداد وهو من الخطوط التي عرضها متر واحد وقد مده البريطانيون بعد احتلالهم ولاية البصرة وأهم محطاته في الفرات الأوسط هي:

ملتقى الهندية ويبعد عن ابتداء السكة (غربي بغداد) ٤٤ ميلاً وخان المحاويل ويبعد ٥٢ ميلاً والحلة وتبعد ٦٤ ميلاً والهاشمية وتبعد ٧٩ ميلاً والشريفية وتبعد ٩١ ميلاً وخان الجدول ويبعد ١٠٥ أميال والديوانية وتبعد ١١٦ ميلاً والحمزة ويبعد ١٢٤ ميلاً والرميثة وتبعد ١٥٤ ميلاً والسماوة وتبعد ١٦٧ ميلاً والخضر ويبعد ١٨٩ ميلاً والدراجي ويبعد ١٩٨ ميلاً.

ومن ملتقى الهندية يتفرع فرع صغير يصل إلى كربلاء وهذا الفرع كثير الأهمية بالنسبة لكثرة ما يسافر به من الزوار وعلى الأخص في الزيارات المخصوصة. يمر هذا الخط بأنهار وجداول عديدة أثناء سيرة فيعبرها على الجسور والقناطر الحديدية وأهمها جسر الهاشمية وجسر الإمام عبد الله وجسر بربوتي. وفي القسم الواقع بين الهاشمية والسماوة يؤثر الطغيان في الأهوار ويكون سير القطار هناك بطيئاً. وفرع كربلاء يمر بسدة الهندية وكان يعبرها قديماً إلا أن دائرة الأشغال منعت دائرة السكك الحديدية من عبوره خوفاً على السدة. وإن هذا الخط ضيق وعرباته من الطراز القديم ومعدل ما يقطعه ٣٠ ميلاً في الساعة وقد شيده الانكليز لغايات عسكرية محضة.

طرق السيارات والعجلات والدواب: - أهم طرق هذه الوسائط هي:

(أ) طريق بغداد - الحلة - الديوانية - الناصرية. وهذا الطريق صالح لسير كل هذه الوسائط إلا في موسم الأمطار فتكثر فيه الأوحال وتعيق السيارات والعجلات من السير. وهذا الطريق مواز لسكة الحديد ويعبر قناطر عديدة وقبل أن يصل خان الحصوة الذي بين الحلة وبغداد يتفرع منه فرع إلى كربلاء فيعبر هذا الفرع الفرات من المسيب ويعبر الخط الأصلي نهر الحلة على جسر فوق أوتاد ويسير على ضفة الشط اليمنى ويمر بالهاشمية والقاسم ثم الديوانة ويعبر نهرها على جسر فوق أوتاد ثم يسير على الضفة اليمنى ويمر بالقرب من الحمزة ويترك الرميثة على الضفة اليسرى وقبل أن يصل السماوة يعبر شط الشنافية على جسر السكك الحديدية في محل يدعى (الإمام عبد الله) ثم يعبر شط الحلة أيضاً فوق جسر السكك الحديدة في (بربوتي) ويصل السماوة.

(ب) طريق المسيب - كربلا - النجف: - يكون اتجاهه إلى الجنوب وهو صالح لسير كل الوسائط البرية إلا القسم الواقع بين كربلاء

والمسيب فتكثر فيه الأوحال أيام الأمطار أما القسم الباقي فرملي يصلح للنقل في كل المواسم.

(ج) طريق كربلاء - الهندية - الحلة: - وهو طريق يكثر فيه الغبار على الدوام وغير منظم وعلى الأخص بين كربلاء والهندية. وأما في مواسم الأمطار فلا يصلح للمواصلات قطعاً. وعندما تمر الواسطة بالهندية تعبر النهر على جسر خشبي قائم على قوارب.

(د) طريق النجف - أبو صخير - الشامية - الديوانية: - طريق يمكن السفر بواسطته إلا في موام الشتاء فتكثر فيه الأوحال وتنقطع المواصلات تماماً. وتعبر الواسطة أثناء سفرها جسر أبو صخير الصغير المنصوب على فرع ججات. ثم جسراً كبيراً منصوباً على الفرات الأصلي ثم معابر صغيرة حديدية حتى تصل الشامية وبعد عبور جسرها الخشبي تسير الواسطة على سداد بين مستنقعات حتى تصل الديوانية.

ومن بعد أبو صخير يتفرع من هذا الطريق فرع ألى ناحية الفيصلية ويتفرع فرع آخر إلى ناحية الغماس.

(هـ) طريق النجف - الكوفة - الكفل - الحلة: - طريق لا بأس به. تعبر الواسطة فرع الهندية الأول على جسر خشبي قائم في الكوفة ثم الفرع الثاني في محل يدعى (أم عباسيات) على جسر خشبي قديم جدًّا نصب أيام الاحتلال لا يصلح العبور عليه حتى أن السيارات تنزل ركابها خوفاً من الخطر ثم يمر بالكفل ومنها إلى الحلة.

ونصيب هذا الطريق من الإصلاح كنصيب باقي المدن الفراتية لا يصلح للسير أيام الأمطار فلا تبليط ولا إصلاح ولا أقل عناية.

(٢) طرق المواصلات النهرية:

- ليس في الفرات طريق نهري متصل وذلك لكثرة الأهوار فيه ولتشعب فروعه فهي تجعل بعض أقسامه غير صالحة للملاحة بينما القسم

الآخر صالح لمرور أكبر السفن وما سبب ذلك إلا كثرة الترسبات فيه ولذلك لا يصلح الفرات لمرور كل السفن التجارية الكبيرة إلا في وسم الفيضان عندما يعلو النهر. وعلاوة على ذلك فالسدود (السكور) التي في شمالي المشخاب والشامية أيام زراعة الأرز تحول دون مرور أصغر السفن وإليك بيان ملخص طرق المواصلات النهرية.

(أ) طريق السماوة - الشنافية - الشامية - الكفل: - هذا الطريق صالح لمرور السفن إلا في مواسم النقص فتسير فيه القوارب الصغيرة والمشاحيف فقط للأسباب والعلل التي سردناها وللنهر شعب عديدة وكلها تصب في الأهوار. وتتصل بشط العطشان فالشنافية فالسماوة.

(ب) طريق الكوفة - الكفل - الهندية: - يصلح شط الكوفة حتى الكفل لسير السفن الصغيرة فقط وإن اجتاز الكفل فيصلح لمرور أكبر السفن على الدوام. وكان هذا النهر كبيراً إلا أنه صغر بعد تشييد السدة

(ج) طريق السماوة - الحلة: - يصلح هذا الطريق لمرور السفن الصغيرة في موسم الفيضان فقط فتمر بعد السماوة بشط السوير فشط الگطعة فشط الديوانية وتعبر ناظم الديوانية من صدره وتتصل بشط الحلة.

وبالإجمال فليس في الفرات طرق عامر للمواصلات النهرية إلا في موسم الفيضان فقط فتعترض سبل الوسائط الأهوار والسدود والنگارات أثناء قلة المياه.

-٨-

الحيوانات

في الفرات الأوسط حيوانات متنوعة وحشية وأهلية يستفاد من لحومها وجلودها وريشها فالحيوانات الوحشية توجد في البراري والأهوار وهي كالخنزير والضبع وابن آوى والثعلب والضب والغزال والأرنب والذئب. وكذلك تكثر الطيور. ولها أنواع عديدة منها: الغراب. البوم. الصقر. الحدأة. الحمام البري. الحجل. الحبارى. القطاة. البسط. الأوز. الدجاج البري. الشحرور. العصفور. البلبل. وتكثر الطيور المائية في أهوار لواء الديوانية.

وفي نهر الفرات أنواع من الأسماك لا يؤكل لحم البعض منها لاعتقاد مذهبي وأهم الأنواع الموجودة هو البني. الشبوط. القطان. البز كما تكثر في نهر الفرات السلاحف والضفادع والرفوش وتكثر الحشرات في الأماكن الكثيرة المستنقعات والمحاطة بمياه راكدة وأهم ما هناك البق والبرغوث و(الحرمس) والنمل والذباب والعقارب والحياة السامة والغير سامة.

ويسطو الجراد في بعض الأعوام على المزارع فيتلفها وكل الطرق المتبعة لمكافحته بسيطة وعقيمة لم تأت بالفائدة المتوخاة والحكومة المحلية هي التي تتعهد المكافحة بمساعدة الرؤساء والأهلين.

الحيوانات الداجنة:

- تستخدم الحيوانات الداجنة أما للاستفادة من إنتاجها كالغنم والماعز والبقر والجاموس أو لتسخيرها في النقل كالجمال والحمير والبغال والخيل.

فالغنم والماعز والبقر والجاموس والجمل يستفاد من لحمه وجلده وشعره ولبنه كما يسخر الجمل للحمل وعلى الأخص في الأراضي الصحراوية وللحكومة ضريبة سنوية خاصة على كل نوع من هذه الحيوانات إلا البقر فيعفى لأنه يساعد الفلاح في زراعته. وكثير من العشائر الفراتية لا شغل لها غير تربية هذه الحيوانات والاستفادة من نتاجها والمتاجرة بها.

والخيل والبغال والحمير تستعمل للنقل والسفر فقط ويسخرها الفلاح في بعض أعماله الزراعية أيضاً وقد كانت هذه الحيوانات الواسطة الوحيدة للمواصلات قبل انتشار وسائط النقل الحديثة. أما اليوم فقد قلت أهميتها إلا الخيل ولذلك بادرنا إلى شرحها.

الخيل: - مما لا ريب فيه أن العربي اهتم منذ الزمن القديم بخيله ومدحها في أشعاره واحتفظ بأنسابها ولذلك جاءت الخيول العربية خير أنواع الجياد فسعت الدول المتمدنة لإصلاح نسل خيلها بالاستفادة من الجواد العربي الجميل. والفراتيون كغيرهم من العرب يهتمون بالخيل كثيراً ولديهم أحسن أنواعها ويرجحون تربية الفرس للاستفادة من نسلها وقد هبطت أسعار الخيول وعلى الأكثر العادية منها بعد انتشار وسائط النقل الحديثة.

ولبيع وشراء الخيل قواعد خاصة يتبعها الفراتيون نذكرها بإيجاز - يجوز بيع الفرس بكاملها كما يجوز بيع قسم منها. ولصاحب الحصة الحق في أن يستخدمها أن دفع فوق ثمن حصته شيئاً من المال وليس

لأحد معارضته على أن يقوم بكل حاجياتها وحق الزمام يدعى (الرسن).

إن ولدت الفرس المشتركة مهرة فلصاحب الحصة الكبيرة حق رباطها وإن ولدت ثانية فالحق لأكبر الباقين حصة وإن ولدت ثالثة فلصاحب الرسن حق الرباط. وإن أراد الشركة القسمة وتسمى (المصاولة) تحضر الخيل ويقدر أحد الشركاء القيمة وللشركاء الآخرين حق الاختيار.

إن ولدت الفرس حصاناً يعطى نصفه لمن يربطه كأجرة وإن أراد ربطه أحد الشركاء فله كل الحصان على أن يدفع ثمناً زهيداً يحدد بين الشركاء.

إن ماتت الفرس عند أحد الشركاء فهو غير مسؤول عن ذلك إلا إذا أثبت الشركاء الباقون إنها أعيرت أو ائتمنت عند آخر فماتت عنده يغرم من أعارها وهذا يستحصل الثمن من المسبب إلا إذا كان المسبب رئيس العشيرة فتكون الخسارة من كيسه الخاص.

وتباع الخيل بصكوك. وتسير مع ما يباع شهادة من الرئيس ينسب الفرس ورستها.

-٩-

الصيد في الفرات

للفراتين ولع خاص بالصيد وعلى الأخص رؤساء العشائر والمثرين منهم فأكثرهم لا يتخذ الصيد مهنة يعيش من أرباحها وإنما للتسلية فقط وأكثر ولعهم بصيد الطيور والغزلان.

والصيد في الفرات الأوسط أما أن يكون بريًّا أو نهريًّا.

(١) الصيد البري:

- ينقسم إلى قسمين (١) صيد الطيور. (٢) صيد الغزلان.

(١) **صيد الطيور**: - وأكثر الوسائط المستعملة لهذا الصيد البندقية وهي غنية عن الشرح الشبكة الهوائية.

وتستعمل الشبكة للصيد في الأهوار والبراري ولها أنواع عديدة.

(٢) **صيد الغزلان**: - ويكون أما بالبندقية إذ يخرج الصياد بسيارة ويقتفى أثر الغزال حتى يدركه بطلقة من بندقيته وأما بواسطة الصقر والسلوقي - بعد أن يعودهما على الصيد - فإذا رأى غزالاً من بعد أطلق صقره وراءه فيخفق هذا على عينيه فيلحقه الكلب ويعض على رجله حتى يصل الصياد بجواده الذي امتطاه ويأخذ الغزال من السلوقي. ولا يخرج الصياد إلا بعد أن يقطع إلا كل عن صقره مدة ٢٤ ساعة وأكثر الصيد

يكون في أيام الربيع والخريف. وصيد الغزال يكون عند الصباح ساعة خروجه إلى مناهل المياه.

ويستعمل الصقر لصيد بعض الطيور (كالحبارى) مثلاً.

ويصطاد في الفرات الثعلب وابن آوى والأرنب وكلها لا تؤكل بل يستفاد من جلدها.

(٢) الصيد النهري:

- لا يصطاد في أنهار العراق غير السمك ولصيده وسائط عديدة منها:

(أ) الصيد بالشبكة وهي أشبع الوسائط وطريقة ذلك أن تلقى في النهر فإذا دخلت السمكة فيها أحس الصياد بجذبة فيسحب الحبل المربوط فيها ويحصل على السمكة. وهناك نوع من الشبك طويل يعلق به كرب النخيل ويرمى في الماء على عرض النهر فإذا مر السمك بالشبكة غطس الكرب وتلف الشبكة بعد ذاك على عكس تيار الماء وعندما يصل الصياد الطرف الثاني من النهر يخرج الشبكة وما فيها.

(ب) الصيد بالزهر وطريقة ذلك أن يلقى الصياد الزهر في الماء داخل عجين أو غيره فإذا أكل السمك منه تقلب على سطح الماء فينزل لمسكه أما باليد أو بالفالة. والفالة قطعة حديدية ذات خمسة أصابع ولكل أصبع رأسان مدببان ضده فإذا ظهرت السمكة على سطح الماء ترمى بالفالة ولا تستطيع التخلص فيأخذها إلى زورقه أو إلى الشاطىء. وهناك طرق عديدة لصيد الأسماك يستعملها أبناء الفلاحين وهي في غاية البساطة أهملنا شرحها.

-١٠-

الأمراض

لا شك أن انتشار الأهوار والمستنقعات في الفرات ولا سيما في مزارع الشلب أمر أدى إلى تفشي الملاريا بكثرة وعلى الأخص بعد أيام الفيضان وفوق ذلك فهناك أمراض غيرها عديدة أهمها:

البلهارزيا والانكليلاستوموز والتراخوما وقد انتشر أخيراً مرض الزهري: وفي المدن السل.

تكثر الملاريا في كربلاء والشامية حيث تكثر المستنقعات هناك.

ويقدر عدد المصابين بالبلهارزيوز بـ٧٥ بالمائة. ولا يهتم الفراتيون بهذا المرض وعلى الأخص الفلاحون منهم لجهلهم عواقبه.

أما مرض (الانكيلوستوموز) أو فقر الدم فأقل انتشاراً من الأمراض السابقة.

والتراخوما منتشرة انتشاراً هائلاً لكثرة الغبار في المدن فالبلديات مقصرة بوجائبها كثيراً وأما الفلاحون فأصح عيوناً وأقوى بصراً وقلما نجد بينهم من يشكو من هذا المرض.

وقد انتشر أخيراً مرض الزهري بأنواعه وهو كما يعلم الكل مرض

تفشى في العراق بعد الاحتلال وقد لا أكون مبالغاً إن قلت أن ٤٠ بالمائة من شباب الفرات الأوسط مصابون بهذا المرض ويسميه البعض منهم (سودا) ولا يعيره أذناً صاغية.

وأما انتشار السل في الفرات الأوسط فلا يزداد عن بقية المدن العراقية.

وبالإجمال فالصحة متأخرة في الفرات الأوسط كثيراً لأسباب عديدة أذكر بعضها بإيجاز.

١ - فقر السواد الأعظم من السكان.

٢ - جهلهم أخطار هذه الأمراض لعدم إذاعة نشرات خاصة بكل مرض من قبل دائرة الصحة تجسم للناس أخطاره.

٣ - وعندي أن السبب الأهم هو قلة انتشار المؤسسات الصحية فإنك لا تجد أثراً لها في القرى ولا بين العشائر الذين يكونون الأكثرية من السكان وإن وجدتها في بعض المدن العامرة فهي قليلة التجهيزات تدار من قبل طبيب واحد في المدن الكبيرة ومن قبل مضمد بسيط في أكثر النواحي وبعض الأقضية وهل يكفي أن تناط صحة أكثر من (١٠٠) ألف نسمة في ناحية الكفل وعشائرها أو ما يزيد على هذا العدد في الفيصلية لمضمد واحد لا يعرف من الطب شيئاً وكل ما يحمله من التجارب أنه اشتغل أشهراً في أحد المستشفيات وهل من الممكن أن يتعهد طبيب واحد صحة سكان قضائي الشامية وأبي صخير في حين أن عدد سكان هذين القضائين يقارب الربع مليون نسمة. كم وكم شاهدت من ذهبوا ضحية جرح لو حضره طبيب لعالجه بسهولة. وكم وكم أماتت الملاريا أو ما شاكلها من الأمراض السهلة المعالجة. هذا ما استطعنا أن نثبته في هذا الموجز بعد أن لفت أنظارنا.

-١١-

في العقائد

(١) الديانة والمذهب:

يدين كل سكان الفرات بالدين الإسلامي. والمذهب الشيعي (الاثني عشري) مذهب الجميع.

والمذهب الشيعي كما قال مؤلف كتاب أصل الشيعة وأصوله في بحثه عن الإمامة:

(الإمامة هي الأصل الذي امتاز به الإمامية وافترقت عن سائر المسلمين وهو فرق جوهري أصلي وما عداه من الفروق فرعية عرضية كالفروق التي تقع بين أئمة الاجتهاد. كالحنفي والشافعي وغيرهما).

وتعتقد الإمامية أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة فكما أن الله سبحانه وتعالى يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كنصٍ من الله فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه وإنه ينصبه إماماً للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي وإنما يتلقى الأحكام منه مع تسديد إلهي. فالنبي مبلغ من الله والإمام مبلغ عن النبي والإمامة متسلسلة في اثني عشر كل سابق بنص على اللاحق ويشترطون أن يكون الإمام معصوماً كالنبي عن الخطأ والخطيئة وإلا لزالت الثقة به وأن يكون أفضل

أهل زمانه في كل فضيلة وأعلمهم بكل علم لأن الغرض منه تكميل البشر وتزكية نفوسهم وتهذيبها بالعلم والعمل الصالح. والناقص لا يكون مكملاً. والفاقد لا يكون معطياً. فالإمام في الكمالات دون النبي وفوق البشر فمن اعتقد بالإمامة بالمعنى الذي ذكرناه فهو عندهم مؤمن بالمعنى الأخص وإذا اقتصر على تلك الأركان الأربعة فهو مسلم مؤمن بالمعنى الأعم تترتب عليه جميع أحكام الإسلام من حرمة ماله ودمه وعرضه ووجوب حفظه وحرمة غيبته وغير ذلك. ومن يعدم الاعتقاد بالإمامة لا يخرج عن كونه (مسلماً). ويعتقدون أن الله سبحانه أمر نبيه بأن ينص على علي وينصبه علماً للناس من بعده وكان النبي يعلم أن ذلك سوف يثقل على الناس وقد يحملونه على المحاباة والمحبة لابن عمه وصهره إذ من المعلوم أن الناس ليسوا في مستوى واحد من الإيمان واليقين بنزاهة النبي وعصمته عن الهوى ولكن الله سبحانه لم يعذره فأوحى إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ فلم يجد النبي (ﷺ) بداً من الامتثال فخطب الناس عند منصرفه من حجة الوداع في غدير (خم) فنادى وكلهم يسمعون: «**ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم**» فقالوا: اللهم نعم، فقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» إلى آخر ما قال. ثم أكد ذلك في مواطن أخرى تلويحاً وتصريحاً حتى أدى الوظيفة. ولكن كبار المسلمين بعد النبي (ﷺ) تأولوا تلك النصوص نظراً منهم لصالح الإسلام حسب اجتهادهم فقدموا وأخروا وقالوا: (الأمر يحدث بعده الأمر) وامتنع علي وجماعة من عظماء الصحابة عن البيعة أولاً ثم رأى في امتناعه من الموافقة والمسالمة ضرراً كبيراً على الإسلام وهو بعد في أول نشوئه وترعرعه فمن ذلك كله تابع وبايع حيث رأى بذلك مصلحة الإسلام وهو على منصبه الإلهي من الإمامة وإن سلم لغيره التصرف والرئاسة.

وأن الإمامة تعتقد أن الله سبحانه لا يخلي الأرض من حجة على

العباد من نبي أو وصي ظاهر مشهور أو غائب مستور وقد نص النبي وأوصى إلى علي وأوصى علي إلى ولده الحسن وأوصى الحسن إلى أخيه الحسين وهكذا إلى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر).

ويرد مؤلف الكتاب على من يستبعد بقائه هذه المدة التي تتجاوز الألف سنة بقوله: (مثله كمثل عمر نوح الذي لبث في قومه بنص الكتاب ألف سنة إلا خمسين عاماً). وعلى من يستنكر بقائه حياً بقول بعض العلماء والمتصوفين بوجود الخضر حيًّا بين ظهرانينا.

(٢) الاستخارة:

قد يتردد الإنسان في بعض أعماله فيفضل الإقدام على عمل طوراً والأحجام عنه آخر إن بدت له المساوىء مكافأة للحسنات. وإلا يتركه أن ثبت زيادة مضاره على منافعه وبالعكس ويستعمل الفراتيون جلهم إن لم يكن كلهم الاستخارة إن لاقى أحدهم أمراً ليس بأحكامه الجزم بأفضلية القيام به أو تركه ولذا يحمل سراتهم والموسرون منهم مسبحة طينية سوداء ذات خيط أخضر ناعم يستخدمونها للاستخارة ويستحسن أخذ الاستخارة عند أحد الزهاد والأتقياء من الروحانيين وهناك وسائط لأخذ الاستخارة غير المسبحة وهي القرآن الكريم. والتسبيح لله حمده. وخيرة الصادق.

أما طريقة المسبحة فيشترط أن يكون من يأخذ الاستخارة نظيف الثياب والبدن ويقرأ آية من القرآن الكريم قبل المباشرة ويصلي على النبي وآله ثلاثاً ويتوكل على الله بعد أن ينوي طالب الاستخارة سرًّا ما يريده ويعزل آخذ الخيرة قسماً من خرز المسبحة ويبدأ بفصل أزواج من الكمية المعزولة فإن كان الباقي خرزة واحدة تكون النتيجة حسنة وإن لم يبق شيء فتكون النتيجة على العكس ويلزم على صاحب القضية ترك ما يريد الإقدام عليه.

وأما طريقة الاستخارة بالقرآن الكريم فيشترط بمن يأخذ الاستخارة نفس الشروط ويفتح بعد ذلك القرآن الكريم ويقرأ آخر آية من الصحيفة الثانية فإن كان معناها دالاً على الخير دم صاحب الاستخارة على عمله وإن كان بالعكس ترك العمل.

أما طريقة التسبيح فهي أن يعزل المستخير قسماً من خرز المسبحة ثم يبدأ بقراءة. سبحان الله. والحمد لله. ولا إله إلا الله. ويلقي خرزة واحدة من القسم المعزول من المسبحة أثناء قراءة كل جملة فإن انتهى عدد الخرز بدور سبحان الله كان الإقدام والأحجام سواء وإن انتهى بدور والحمد لله فالإقدام أفضل. وإن كان ذلك بدور ولا إله فيجب ترك العمل.

وهناك طريقة أخرى للاستخارة وهي أن يأخذ المستخير كتاباً صغيراً تحتوي كل صحيفة منه على آية من القرآن الكريم ويسمى هذا بكتاب الصادق نسبة للإمام جعفر الصادق ﷺ ويفتح المستخير الكتاب لا على التعيين ويفسر آية تلك الصحيفة فإن كانت ناهية يترك العمل وإلا أقدم عليه.

(٣) الزيارات:

يعتبر الشيعة عموماً زيارة العتبات أمراً يثاب عليه الزائر في كل آن. وللزيارات الخاصة ثواب أعظم. ولكل من الزيارات الخاصة سبب دعا إلى خصوصيتها. والزيارات الخاصة تكون لقبر الإمامين علي وابنه الحسين ﷺ.

ولدى الشيعة روايات عن الأئمة تخصص أيام الزيارات ولا تخلو تلك الأيام من سبب فإما أن تصادف ولادة النبي أو وفاة إمام أو زيارة أحد الأئمة القبر في ذلك اليوم وهذا أهمها:

١ - في العاشر من المحرم يزار قبر الحسين ﷺ. ٢ - في الـ٢٠ من صفر يزار قبر الحسين ﷺ. ٣ - في الـ ١٧ من ربيع الأول يزار قبر الإمام

علي ﷺ. ٤ - في اليوم الأول من رجب يزار قبر الحسين ﷺ. ٥ - في الـ١٥ من رجب يزار قبر الحسين ﷺ. ٦ - في الـ ١٧ من رجب يزار قبر الإمام علي ﷺ. ٧ - في الـ١٥ من شعبان يزار قبر الإمام الحسين ﷺ. ٨ - في أول شوال يزار قبر الإمام الحسين ﷺ. ٩ - في الـ٩ من ذي الحج يزار قبر الإمام الحسين ﷺ. ١٠ - في الـ ١٠ من يوم ذي الحج يزار قبر الحسين ﷺ. ١١ - في الـ ١٨ من ذي الحج يزار قبر الإمام علي ﷺ.

-١٢-

الربى والفائض

يكاد يستوليك العجب إن اطلعت على المرابين في الفرات الأوسط وعلى أعمالهم المنكرة التي ما أنزل الله بها من سلطان وعلى ظلمهم وقساوتهم ومما يدعو إلى الانتباه إن أكثر جورهم قد وقع على الزراع والفلاحين لأنهم الطبقة البائسة المعدمة من بين سكان الفرات.

يتعذر على المحتاج أن يحصل على قرض بفائض أقل من ٥٪ شهريًا. هذا عند المنصف من المرابين وأما عند القساة فلا يقل ذلك عن ١٠٪ شهريًا أي أن المائة دينار تصبح (٢٢٠) ديناراً بسنة واحدة - ولم أشاهد الحالة المتأخرة إلا عند بعض اليهود في الكفل والشامية والحلة ـ. وقد أحدث قرض الفائض بين التجاتر والزراع مشاكل إدارية عديدة كما أنه أفلس كثيراً من الرؤساء وأفناهم وتركهم في أنكد حالات الشقاء والبؤس. ويكاد يكون تجار النجف عمدة المرابين في الفرات الأوسط وأكثر مراجعات العشائر في قروضهم وسلفاتهم معهم ولا ينكر أن الفائض الذي يتقاضونه لا يزيد عن (٢٠) بالمائة ومع ذلك فإن هذه النسبة فاحشة جدًا لو قورنت بفائض البنوك الزراعية في العالم. وإن لم تتدارك الحكومة هذا الأمر بإيجاد مصرف زراعي فلا شك أن أكثر الأراضي ستنسلخ من العشائر وتصبح ملكاً للمرابين كما أوشك هذا الوقت أن يحين.

كما إنني أقول أن الفائض في الفرات محرم شرعاً كما هو معلوم حرمة تكفيرية ويلفت نظري هناك ضعة المرابين واحتقار كل الطبقات لهم حتى أن المرابي نفسه لا يتجاهر بعمله ذلك وينكره أن نسب إليه ويعتبر عمل من وصمه به إهانة كبرى. وعندما يريد أحد المزارعين اقتراض مبلغ من التاجر يجري بين الطريفين ما يأتي:

أ - ينظم سند بالفائض والمبلغ الأصلي مصدق من قبل كاتب العدل تنظيماً داخليًا.

ب - يتعهد المدين أن يسلم حاصلاته الزاعية لدائنه التاجر عيناً بعد إنزال قسم من سعر يومها.

جـ - إذا ما ساوت الحاصلات الدين يؤجل الباقي بعد إضافة فائض جديد له يتفق عليه الطرفان.

ومما يلفت النظر إن المدة بين الاستدانة والتأدية لا تزيد على الستة أشهر أي من بدء زراعة الصيفي أو الشتوي إلى حصاده ويستوفي المرابي فائض السنة بكاملها.

كثيراً ما يعتمد الزراع على التجار فيبقون لديهم سنداتهم بعد التسديد لبساطتهم ويتخذها أولئك واسطة للتهديد إن لم يتمكن المدين من تأدية كل دينه في آنة. وكثيراً ما حكم مدين بسند سدده. شاهدنا من أمثال هذا كثيراً ولم نشاهد - كما لم نسمع - إن تاجراً أقرض زارعاً مبلغاً بلا صك.

يدعي مراب في قضاء الهندية إن له بذمة أحد زعماء العشائر (٧٥) ألف روبية ويدعي المدين أن المبلغ (٤٠) ألف روبية وقد سدد منه (٢١) ألفاً ولم يبق عليه غير (١٩) ألف روبية. هنا يتجلى للقارىء ظلم المرابين وفحشهم.

استدان فلاح ثمن ثلاث دجاجات قدمها لضيف حل عنده. فتراكمت الأرباح على الثمن حتى اضطر أخيراً وباع ثورين فسدد دينه. هذه واقعة حقيقية شاهدتها في قرية آل بدير.

يحق لنا أن نلوم أكثر المستدينين وعلى الأخص شيوخ ورؤساء العشائر منهم فإن بذخهم أوقعهم في تلك الهوة السحيقة لأننا نشاهد ضخامة حاصلاتهم وارداتهم. أتصدق لو سمعت إن من يحصل من الزرع ألف طغار تقريباً في السنة وسعر الطغار على الإجمال لا يقل عن الـ١٠ دنانير مدين (٢٠) ألف دينار أو أكثر.

أتصدق لو قلت لك أن سركالاً اشترى حذاء ثمنه دينار ونصف بطغار من الشلب سدده يوم كان سعر الطغار (١٥) ديناراً.

أتصدق لو قلت لك أن أحد المرابين المعروفين في الفرات كان لا يملك في أواخر أيام العهد التركي أكثر من مائة ليرة وهو اليوم من أصحاب الملايين.

-١٣-

الثقافة

إن الثقافة العلمية الضئيلة الموجودة اليوم في مدن الفرات الأوسط قديمة تستمد أصولها من الثقافة العربية الشعربية التي كانت أيام حكم المناذرة والتي اختلطت بعد الفتح الإسلامي بمبادىء الدين الحنيف، ولذلك نرى النزعة الدينية غالبة على أمرها في معظم ما تنتجه قرائحهم وأفكارهم يندر أن تجد بين سكان الفرات من شعراء وعلماء وكتاب من لم يصطبغ بهذه الصبغة الدينية.

أما الثقافة العصرية المبنية على أصول التربية المستفادة من الاكتشافات فليس لها تأثير مهم في نزعات الأفراد ومناحي أفكارهم بصورة عالية كما هو مطلوب.

ومع أن الحكومة العثمانية فتحت بعض المدارس الابتدائية إلا أن انحصار لغة التعليم فيها باللغة التركية وهي لغة أجنبية بالنسبة لسكان الفرات الأوسط الذين هم من العرب حال دون استفادتهم وحيث أن التعاليم الدينية التي يلقن بها الأطفال كانت منحصرة في المذهب (السني) فقط بينما السكان هناك من معتنقي المذهب (الشيعي) فأدى هذا بطبيعة الحال إلى إبعاد سكان الفرات عن هذه المدارس وأوجد من هذه الناحية ظهور الدعاية عند البعض بتحريم التعلم والدراسة في المدارس والذي لم يزل أثره باق عند البعض حتى في الأيام الأخيرة.

وإن هذه الحالة أخذت طوراً آخر في أيام الاحتلال. فقد فتحت الحكومة المحتلة عدة مدارس هناك واستخدمت عدداً من أهالي تلك المناطق في سلك التعليم مما ساعد على إقبال البعض وبذر الحركة العلمية. وقد استمرت الحالة وتمت وكثر فتح المدارس في القرى والأرياف والأماكن المأهولة أيام الحكومة الوطنية وقامت هذه بتشكيلات وتنظيمات في المعارف وأسست المدارس الثانوية في بلدة النجف والحلة وكربلاء والديوانية فدخلها بعض أبناء الروحانيين وبذا أقبل سائر الناس عليها. كما سادت الحكومة وشجعت على فتح المدارس الليلية للأميين لا سيما في المدن. إلا أن ذلك لم يجد نفعاً ما دامت الأكثرية الساحقة من الفراتين هم من سكان القرى والأرياف وهؤلاء على قسمين قسم منهم لا يزال على حالة البداوة يقضي العمر في التنقل من مكان لآخر طلباً للمرعى والمياه وهؤلاء بقوا على حالتهم القديمة لم ينلهم شيء من التطور. وقسم آخر استوطنوا مقاطعات صغيرة قرب شاطىء الفرات وفروعه واستعاضوا عن الرعي بالأعمال الزراعية إلا أن الحركة العلمية فيه تكاد تكون معدومة. هذا عدا بعض المدارس القريبة من المدن التي أسست فيها بعض المدارس ذات الصفين أو الثلاث.

وتحول دون انتشار التعليم ورفع مستوى الثقافة في الفرات الأوسط أمور كثيرة منها:

أولاً: إن هذه المدارس لا تصلح في وضعها الحاضر أن تكون أساساً لثقافة القرية بالنظر لما تتطلبه من حاجات. وذلك لأن المنهج المعمول به خال من كل ما يتعلق بالحياة الزراعية وما يتطلبه ابن القرية ويحتاجه.

ثانياً: وهو السبب المهم - الحالة الاقتصادية: إذ أن الأكثرية الساحقة من سكان الفرات والأرياف هم طبقة الفلاحين وهذه الطبقة لا يصيبها مقابل أتعابها في أمور الزراعة إلا الشيء اليسير الأمر الذي جعلها

بحالة فقر شديد فهي بهذا الوضع لا تستطيع ولا تفكر في إرسال أولادها إلى المدارس للثقافة والتعلم. أذكر قصة شاهدتها بأم عيني في مدرسة الكفل. والكفل كما يعلم الكل أقرب إلى المدينة منها إلى القرية.

دخلت الصف على أحد المعلمين عام ١٩٣٣ ووجدته قد أوقف طالباً يستجوبه فتقدم بعد ذلك وناوله الطباشير ليكتب على السبورة فرفض هذا معتذراً بأنه لا يستطيع أن يترك ثوبه الذي أمسك به بيديه لأنه خلق ممزق لا يستر عورته. وهنا أدار المعلم وجهه إلي قائلاً: «يريدون تثقيف الفلاح وقد قتلوه جوعاً».

ثم ما دام أصول التصرف بالأراضي بشكله الحاضر والطبقة العظمى من السكان (الفلاحون) يقدمون ثمرة أتعابهم إلى أناس معدودين ستبقى الأمية سائدة في الفرات الأوسط إلى ما شاء الله. هكذا خسر الشعب العراقي خدمات المواهب العقلية - لجانب عظيم من أبنائه - والتي من الممكن استثمارها أما القسم المتوسط من سكان الفرات الذي توفق لإرسال أولاده إلى مدرسة القرية ذات الصفوف القليلة والتعليم الأولي فإنه يعجز عن إرسالهم عند اجتيازهم صفوف المدرسة إلى المدارس البعيدة لإتمام الدراسة الابتدائية فضلاً عن الثانوية والعالية لأن هذا يتطلب صرف مبالغ طائلة لا تتوفر حتى عند الطبقة المتوسطة (طبعاً).

ثالثاً: جهل الآباء فائدة التعليم وعدم وجود الدعاية الكافية. فقد سئلت يوماً أحد الرؤساء عن السبب الذي يمنعه من إرسال ولده (المدلل) إلى المدرسة فأجابني ببرودة وما الفائدة التي يتوخاها من ذلك هل أن ولده سيصبح مفوضاً أو وزيراً. فالرئيس المحترم يتصور أن الغاية من الدرس هي الحصول على وظيفة مفوض أو وزير فهل هناك نسبة بين الدرجتين.

رابعاً: المعارف ترسل إلى القرى معلمين غير أكفاء ولا يتفقون مع

الأهلين من وجوه شتى ولو أنها أرسلت لمثل هذه الأماكن معلمين أكفاء مخلصين يقدرون المسؤولية ويفهمون فائدة التعليم ويقومون بوظائفهم بإيمان ويتمكنون من القيام ببث الدعاية لرواج التعليم لأصبحت الحالة غير ما تجدها اليوم والإقبال على التعليم على غير ما تراه. فهذه الأمور وأمور غيرها جعلت مستوى التعليم في مدن الفرات بنسبة ١٢ بالألف. إنها نسبة ضئيلة أو قل إنها معدومة.. وستبقى الأمية ضاربة أطنابها والجهل سائد والشعب العراقي متأخر طالما الحقوق التصرفية بالأراضي باقية على حالها والدعاية غير رائجة والمعارف لا تتخذ غير هذا المنهاج ولا تكثر المدارس بالنسبة المطلوبة.

-١٤-

البلديات

تقسم البلديات في العراق من حيث الدرجة إلى أربعة أقسام وهي:

الدرجة الأولى: بلدية بغداد والبصرة والموصل. ويعين رؤساء هذه البلديات بإرادة ملكية بناء على اقتراح وزارة الداخلية ولهذه البلديات اثنى عشر عضواً وتشكيلات أخرى بنسبة أهميتها.

الدرجة الثانية: تكون في المدن الأخرى (المتصرفيات) أي المدن التي يديرها المتصرفون كبلدية كربلاء والحلة والديوانية ويعين رؤساء هذه البلديات باقتراح من المتصرفية وصادقة وزارة الداخلية ولهذه البلدية عشرة أعضاء وتشكيلات أخرى ككاتب البلدية وأمين الصندوق والجابي وموظفي المراقبة.

الدرجة الثالثة: هي بلديات النواحي (كبلدية الكوفة) التي يزيد وادرها عن الـ٧٥٠ ديناراً في السنة ويعين رؤساء هذه البلديات باقتراح من السلطات الإدارية. ولهذه البلديات ثمانية أعضاء وكاتب وجاب ومراقبين.

الدرجة الرابعة: هي البلديات لقسم من النواحي التي يقل واردها السنوي عن الـ٧٥٠ ديناراً وأكثر هذه البلديات أنيط أمر رئاستها بموظفي الإدارة ولمثل هذه البلديات خمسة أعضاء فقط.

ورئيس البلدية هو الموظف الذي يشرف على كل أعمال البلدية وله راتب خاص ولا يتقاضى الأعضاء راتباً.

ولكل دافع ضريبة قدرها نصف دينار فأكثر وحائز للحقوق المدنية حق الانتخاب. ولكل دافع ضريبة تزيد على الدينار الواحد وجاوز عمره الـ٢٥ عاماً حق الترشح للعضوية.

وكان الرؤساء يعينون سابقاً بالانتخاب إلا أن الوزارة السعيدية عام ١٩٣١ ألغت الانتخاب ومنذ ذلك الحين صارت الرئاسة بالتعيين.

والرؤساء الذين يحصلون على الرئاسة بطريقة الانتخاب ما هم إلا من المتمولين أو المتنفذين وقل أن تجد بينهم من له حظ - ولو قليل - من الثقافة.

ومثل هذا الرئيس الذي نال الرئاسة بمساعدة الأفراد وبمساعدة رئيس الإدارة فإنه يحكم الوضع يضطر إلى ممالاة كل من الجهتين ولا ينسى بأنهم كانوا سلم ارتقائه وأنه محتاج إليهم عند إنهاء مدة الانتخاب في الانتخاب الثاني لذا ينتج من هذا إهمال وتقصير بأداء الواجب فضلاً عن المشاكسات والشغب الذي يحصل بين الأحزاب الانتخابية. فهذه الأسباب وأمور أخرى حملت الوزارة على تعيين الرؤساء وإلغاء الانتخاب البلدي إلا أن الوزارة لم تأت بجديد بل إنها أقرت الرؤساء في أماكنهم وأكثر رؤساء البلديات والأعضاء في الفرات الأوسط أميون تقريباً وهم من أهم أسباب تأخر البلديات هناك.

ولن أنسى (يوم جلست في دكان أحد أعضاء بلدية قرية من قرى الفرات) حينما جاء فراش البلدية يحمل بإحدى يديه قبضة أوراق وبالأخرى قلماً ودواة وطلب من العضو التوقيع عليها فوقع هذا في المحل الذي عينه له الفراش وبعد دقائق سألني العضو ماذا كان مضمون الورقة فتأمل!.

إن المجلس البلدي ليس له إلا أن يشرف على المصروفات ويصادق على صرف ما هو مخصص في الميزانية وله الحق في أن يلتئم ويقرر ما هو نافع للبلدة وللبلدية.

وواردات البلديات تكون من رسوم: الرصيف. الذبحية. السمسرة. الحراسة. الأرضية. المعابر المنشئة من قبلها. رسوم البناء. إجازات الملاهي. رسوم المهن. وتجبي الواردات بواسطة الجباة إذا لم يحصل راغب في تعهدها.

ومصاريف البلديات تكون على: موظفيها. تنوير الطرق. مساعدة الصحة والفقراء والمدارس. تزيين البلدة أيام المهرجانات. الانتخابات. إشادة الدور للانتفاع بإيجازها.

وعلى البلديات: تعبيد الطرق التي داخل البلد. زرع الأشجار في الشوارع. ردم المستنقعات. تنظيف البلد. إنارة الشوارع. تنسيق طراز البناء.

ومما يدعوا إلى الاستياء أن أكثر المدن الفراتية لا تنال ما هو مطلوب من البلدية من الخدمات فالرؤساء القدماء يوم الانتخابات هم اليوم على كرسي الرئاسة وقد كانوا يلاحظون الأهلين وطلباتهم سابقاً أما اليوم فلا علاقة لهم بهم البتة بعد أن عرفوا أن تعيينهم أمر غير منوط بالأهلين فالقاذورات والأوساخ شاهدتهما في كل مدينة تقريباً والصحة متأخرة جدًّا لعدم قيام البلديات بواجبها إضافة لقصور دوائر الصحة.

لا ينكر أن هناك بعض الشوارع العامة في قسم من المدن نظيفاً غير أنه من الغبن أن نحكم على قيام البلديات بوجائبها بهذا القسم اليسير فقط.

-١٥-

بعض الأمثلة العامية

١ - «اشحصل الصحاف من ديرة عفك»:

قصد مجلد كتب مدينة عفك للاكتساب ولما كان أكثر السكان من الأميين فلا بد لمهنته من الكساد فرجع بعد ذلك خاسراً لجهله فصار يضرب به المثل.

٢ - «راح الغزل وكريه»:

اتفق رجل مع امرأة على حياكة عباءة له بأجر زائد وبمدة طويلة فسمعت امرأة ثانية ما دار بين الرجل والحائكة فطلبت بعد ذلك منه أن يأتيها بغزله وهي مستعدة لحياكته بأجرة أقل وبمدة أقصر فأحضرها له ودلته على دارها واستوفت منه الأجرة. فراح الرجل يعلن لأصحابه ذلك. ولكن الأجر كان غير معقول ولما حانت الوعدة جاء لأخذ عباءته فأنكر عليه أهل الدار ذلك وعلم أخيراً أن أهل الدار لا يمتهنون الحياكة وإن المرأة قد أغفلته وسرقت منه عباءته فعاد إلى أهله وقص على أصحابه القصة فصار يضرب به المثل.

٣ - «بقال زبيد»:

حل بقل بديار عشيرة زبيد وبعد أعوام أثرى البقال وفتح له مضيفاً وترك عمله وصار يفد عليه أفراد العشيرة ويحسم بعض الدعاوى وأخذ

يزجر أفراد العشيرة بالضرب فسمع هلوس آل علوان رئيس العشيرة بذلك وإن مهنة البقلة أحقر المهن عند العرب فطرده من العشيرة وصار يضرب المثل بمن لا يعرف قدره ويمد رجليه أكثر من بساطه.

٤ - «لاحظت برجليها ولا خذت سيد علي»:

عشق السيد امرأة وكانت هي تحبه أيضاً بيد إنها كانت متزوجة فأخذت تسيء إلى زوجها حتى طلقها وذاع نبأ اتفاقهما على الزواج فسمع آل السيد علي بذلك وهددوه بالقتل إن أقدم على خطبتها فتركها وصار يضرب هذا المثل بمن أضاع ما في يده طمعاً في أن ينال شيئاً غير محقق.

٥ - «گطان أحميد»:

ألقى أحميد الصياد شبكته وشعر بثقل فظن أنه صاد قطاناً كبيراً (نوع من السمك) وتهلل وجهه بشراً وبعد أن أخرج الشبك بمعونة أصحابه وجد فيه حجراً كبيراً فصار يضرب المثل بمن استبشر وفرح بنوال شيء قبل التحقق.

٦ - «علم ابريج بصدره»:

قصد ابريج مدينة عامرة وذعر مما شاهده فيها من العمران وهو ذلك القروي البسيط فعاد لقومه وأبدى لهم عجبه من المدينة وكلما كرروا عليه السؤال عنها أبدى عجبه وعجز عن الإجابة فضرب هذا المثل به.

٧ - «طارش الغزالات»:

أوفد الغزالات أحد أفرادهم إلى طريق الكوادة ليعلمهم بنبأ قدومهم إن جاؤوا لاستيفاء الرسوم ليهربوا أغنامهم. ذهب الرسول واتفق أن صادف أحد معارفه فسار معه إلى أهله وبقي أياماً فجاء الكوادة والعشيرة بمأمن وحصلوا ما بذمتها من الرسوم فضرب برسولهم المثل.

٨ - «حلانة آل داود»:

مرت سفينة بآل داود ووقعت منها حلانة في النهر فاستنجد ربان السفينة بالعشيرة لإخراجها فغاص رجل من العشيرة وعثر عليها فدفعها إلى محل بعيد حتى إذا يئس منها رفاقه أخرجها لنفسه وأعلن عدم عثوره عليها ثم نزل الثاني فعثر عليها ودفعها إلى محل أعمق وعمل كما عمل سلفه وهكذا كان شأن الجميع فيئس صاحب السفينة وترك الحلانة ولما عاد كل من الأفراد للنهر ليخرجها من مكمنها الذي أودعها فيه لم يجدها فضاعت الحلانة وضرب بالقضية المثل.

-١٦-

الصناعة

خصوبة أراضي الفرات الأوسط حالت دون تفكير السكان بالصناعة ولوازمها، فالتاجر يوجه رأس ماله نحو الزراعة والعامل يبذل همه في الفلاحة وكذلك كل الطبقات تقريباً. ولذلك تأخرت الصناعة في الفرات تأخراً محسوساً.

بيد أن بعض الحاجيات الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عنها وجه الفراتي همه نحو اتقانها وإصلاحها والتفنن بها. وليس في الفرات من المصنوعات ما يستحق العناية - كما هو شأن العراق كله - غير أن بعض المدن اشتهرت بقسم من المصنوعات وتقدمت بالنسبة. على غيرها من المدن العراقية.

يحوك معظم نساء العشائر السجاد العراقي المعروف عندهم - بالغليچة - وهو سجاد لا بأس به معمول من الصوف بيد أن قوته ومتانته لا تدانيان الفرش الإيراني كما أنه خشن ومع كل ذلك فهذا السجاد مستعمل كثيراً عند العشائر وفي بعض المدن حتى إنك لا يقع نظرك على سجاد إيراني إن حللت بين ظهراني كل العشائر قاطبة. ويصنع هذا السجاد نساء عشائر لواء الديوانية أكثر من غير الألوية.

وقد اشتهرت السماوة بصنع البسط والأرز الجميلة بأشكال متعددة

وحجوم متنوعة. ومما يلفت النظر بخس أثمانها فتلك لا تتناسب والمصاريف التي بذلت لصنعها.

أما (العبي) فقد اشتهرت النجف شهرة واسعة بصنعها فهناك يصنع أحسن أنواعها الخفيفة الصيفية والسميكة الشتوية وتدعى الأخيرة (البريم). وفي النجف مصانع يدوية تزداد على الـ٥٠٠ مصنع لحياكتها وكانت تجارتها رائجة رواجاً عظيماً في البلدان الإسلامية عامة فهي ترسل لإيران بكميات عظيمة كما ترسل إلى الهند والأفغان، ويرسل قسم قليل إلى سوريا. بيد أن الإيرانيين بعد ارتدائهم الزي الأفرنجي وتركهم العباءة العربية وقف سوى العبي وعطلت بعض المصانع. وعرفت النجف كذلك بحياكة بيوت الشعر التي يعيش فيها البدو الرحل.

وتصنع من ليف النخل الحبال المتنوعة كما تصنع من خوصها الحصران والقشور التي تكبس بها التمور. وهذه تصنع في كافة القرى الفراتية تقريباً. وتعمل من جريد النخل الأسرة للنوم والأقفاص.

وتصنع في بعض المدن أنواع الحاجيات الفخارية. كما تصنع من مواد البناء الإنشائية الطابوق والجص.

وكذلك تصنع جميع حاجيات الفلاح كالفأس والمحراث والمنجل والمسحاة والمذراة... إلخ.

وفي المدن الكبيرة يصنع أنواع الأثاث الخشبي على أحدث طراز وأهم تلك المدن: كربلاء في الدرجة الأولى والحلة ثانياً والنجف ثالثاً.

وقد حاول بعض حاكة النجف في الأيام الأخيرة صنع بعض المنسوجات القطنية المستورد غزلها من خارج العراق بدون استعمال آلات الحياكة الحديثة. بيد أن الإقبال على تلك المنسوجات كان قليلاً جدًّا وهذا الأمر هو الذي دعا إلى تثبيط همم العمال. كما أن بعض المنسوجات الطفيفة كالمناديل والحزم لا زال مستعملاً ورائجاً.

وقد فتح في الكوفة أخيراً معمل للكاشي فأخذ يصدر كميات من صنعه إلى المدن الفراتية عند الطلب. وقد فتحت مصانع لعمل النواعير في الكوفة والنجف فنالت رواجاً عظيماً وكل النواعير المنصوبة على الفرات الأوسط من صنع هاتين المدينتين.

وبعد انتشار وسائط النقل الحديثة فتحت بعض المصانع لإصلاح السيارات في النجف لأنها محط رجال العشائر فيقصدونها للزيارة ولغايات تجارية ولأن القطار بعيد عنها فكل وسائط النقل فيها هي السيارات ولذلك انتشرت المصانع في هذه المدينة دون غيرها من المدن الفراتية.

وتصنع في الكوفة أنواع السفن الشراعية ومعظمها تقير من الخارج لأنها تصنع من قطع خشبية صغيرة لا يزيد طول الواحدة منها على المترين. وفي الأيام الأخيرة صارت تصنع السفن الكبيرة وتنصب فيها المكائن وأكثرها تستعمل للحمل.

وأما المصنوعات من الحلي فهي تصنع في كل المدن الفراتية تقريباً ولا تختلف عن بقية المدن العراقية وكذلك تصنع الأواني النحاسية.

-١٧-

العشائر

إن الأكثرية الساحقة من سكان الفرات الأوسط هي من العشائر ولا يعرف بالضبط تاريخ نزول هذه القبائل أرض العراق. وكل ما يعرف أن العشائر أمت العراق من القرن الأول للميلاد. ولم ينته القرن السادس حتى كانت أراضي الجزيرة مأهولة بالقبائل المتنوعة وقد ازدادت الهجرة بعد فتح الخلفاء الراشدين العراق.

والظاهر أن القبائل إنما اختارت السكنى في العراق لخصوبة أراضيه ولوجود المراعي الكثيرة فيه وهذا ما يتمناه ويطلبه العربي.

كانت العشائر تهتم قبلاً بأمور الماشية وتربيتها وبعد أن سكنت العراق عرفت أن الزراعة تدر عليها من المنافع أكثر من الرعي فباشرتها.

ومن العشائر التي سكنت العراق واستوطنته بمساعدة الحكومات التي اتخذت العشيرة كواسطة لمحاربة عشائر قديمة قوية الجانب كما فعلت الحكومة العثمانية يوم أسكنت عشائر آل فتلة أراضي الديوانية ومدتهم بالمساعدات للحط ولأضعاف عشائر الخزاعل القوية الجانب يوم ذاك.

ومن عشائر الفرات ما كثر عددها فانتشرت في أماكن متعددة كعشيرة آل زياد ومنها ما قل فتحالفت مع عشائر أخرى واندمجت بها فكونت عشيرة متحالفة تصد هجمات الغير كعشيرة بني حسن. ومنها ما

ظلت على قلتها وضعفها منفردة بيد أنها تركن إلى إحدى العشائر القوية الجانب ساعة الحروب والغزوات كعشيرة (گريط). وهناك قليل من العشائر المستضعفة التي لا تستند على غير الحكومة.

تقسم القبيلة إلى عشائر والعشائر إلى بطون والبطون إلى أفخاذ ويحكم القبيلة (شيخ المشائخ). والعشيرة والبطن (شيخ) والفخذ (رئيس).

لا يجد الإنسان فرقاً بيناً بين عادات ولهجات واجتماعيات وأخلاق العشائر الساكنة في الفرات الأوسط.

وللعشائر أنظمة خاصة في حسم المشاكل التي تحدث بين أفرادها وقد أقرت الحكومة تلك العادات وأتبعتها قانوناً تسير بها أمور العشائر.

ويضيف قسم من العشائر بعض الحروف الزائدة إلى الكلمات العربية كما يحول بعضها فيقول في لا تضرب مثلاً (لا تضر بيش) وفي جاموسة مثلاً ياموسة. وفي كثير (چثير).

ولكل عشيرة نخوة خاصة تنتخي بها عند الشدائد وهي إما أن تكون باسم زعيم من زعماء العشيرة أو باسم بطل من أبطالها. أو تكون باسم جامع شمل العشيرة أو المحسن إليها. وإليك ملخص أحوال العشائر التي سكنت الفرات الأوسط. اثبتنا المقيمة منها وضربنا عن الرحالة صفحاً.

عشائر لواء كربلاء

- ليس في هذا اللواء عشائر ذات أهمية نظراً لقلة الأراضي الزراعية فيه وأهم العشائر التابعة له هي:

عنزة:

- أفراد من عشيرة عنزة الأصليين ومسكنهم أراضي الرزازة الواقعة على قناة الحسينية يبلغ نفوسهم ٣,٠٠٠ نسمة ونخوتهم (وايل).

آل مسعود

- تسكن هذه العشيرة بين سدة الهندية وكربلاء على قناة الحسينية ويسكن قسم منها بين السدة وطويريج ونخوة هذه العشيرة (السناعيس)، (بسعد).

ويسكن بجوار المسعود بنو أسد أيضاً.

اليسار:

- يسكن بعض أفراد هذه العشيرة في ناحية سدة الهندية وناحية أبو غرق ولكن القسم الأعظم من اليسار يسكن في بزايز الحسينية ويقدر نفوس هذه العشيرة بـ٤,٠٠٠ نسمة ونخوتها (اكطع).

البو عامر:

- تسكن هذه العشيرة في أماكن متعددة من العراق وهي منتشرة في النجف والرزازة واليوسفية.

وألبو عامر أول عشيرة سكنت النجف وأقامت فيها البنايات ويشتغل ألبو عامر في تربية الجاموس والزراعة. ويقدر نفوس هذه العشيرة بـ٦,٠٠٠ نسمة ونخوتهم العامة (كوشة).

وذلك بالنسبة إلى جدتهم كوشة التي عرفت بحمل السلاح والرجولة ويرجع نسب هذه العشيرة إلى عشيرة شمر طوگة.

آل مواش:

- مسكنهم الكوفة ويشتغلون بزراعة النخيل والمزروعات الشتوية أكثر من سائر المزروعات ويبلغ عدد نفوس هذه العشيرة ٢,٠٠٠ نسمة ونخوتهم (جراح).

البو حداري:

- مسكن هذه العشيرة ناحية الكوفة ويشتغل أفرادها بالزراعة وتربية الأغنام. ويقدر نفوسها بـ٦,٠٠٠ نسمة ونخوتهم (حدرة).

الحواتم:

- مسكنهم ناحية الكوفة أيضاً ويقدر نفوس هذه العشيرة بـ٤,٠٠٠ نسمة ويشتغلون بالزراعة والأغنام وكل مزروعاتهم تكون بالواسطة فليس لديهم من الأراضي ما يزرع سيحاً ويدخل قسم منهم في ناحية الكوفة ونخوتهم (ماحس).

عشائر لواء الحلة

- أهمها هي:

(عشيرة زبيد):

- تسكن هذه العشيرة المنطقة التي بين المسيب والحلة ويسكن قسم منها على شط دجلة وأصلها من اليمن وأهم بطونها: المعامرة. الجحيش. ألبو سلطان.

ونخوة العشيرة العامة (حمير). كما أن لكل من بطونها نخوة خاصة. ويشتغل معظم أفراد هذه العشيرة بالزراعة كما يشتغل بعضهم بالرعي. وتقدر نفوس هذه العشيرة بـ١٥ ألف نسمة تقريباً.

المعامرة: - تسكن هذه القبيلة في ناحية المحاويل على قناة المحاويل وكذلك يسكن القسم الآخر منها على قناة النيل. وهناك قسم يسكن في بزايز قناة اليوسفية ويعيش رجال هذه القبيلة على الزراعة ونخوتها (سلمة).

الجحيش: - يقدر أفراد هذه العشيرة بـ٤,٠٠٠ نسمة ويسكنون في ناحية المحاويل والسدة كما يسكن قسم منهم في الاسكندرية. وفي قضاء عفك عدد قليل من هذه العشيرة ونخوة الجحيش (جاحش) ويشتغل أفراد هذه العشيرة بالزراعة.

ألبو سلطان: - تسكن هذه العشيرة على الشاطىء الأيسر من فرع الحلة بين السدة والحلة داخل حدود ناحية المحاويل ويسكن قسم منها في النعمانية على شط دجلة. ويعيش أفراد هذه العشيرة على تربية المواشي كما يشتغل القسم الأعظم منها بالزراعة ويقدر أفرادها بـ٨,٠٠٠ نسمة ونخوتهم (فنوني).

(عشيرة الجبور):

قبيلة عربية كبيرة بيد أن أفرادها متشرون في أماكن عديدة ويسكن قسم عظيم من هذه العشيرة في ناحيتي القاسم والمدحتية على قناتي الجربوعية وعلاج من فروع شط الحلة ويسكن بعض أفراد هذه العشيرة على الشاطىء الأيمن من فرع الحلة فوق مصب الدغارة. كما يسكن البعض الآخر على قناة اليوسفية وقد سكن بعضهم على نهر الخابور في لواء كركوك والبعض الآخر في ديالي ويقدر نفوس الجبور الذين سكنوا الفرات بـ٨,٠٠٠ رجل ونخوتهم العامة (عجم). وهذا القبيلة من أمهات القبائل التي سكنت الفوار سابقاً.

(عشيرة خفاجة):

تسكن هذه القبيلة في ناحيتي الكفل والقاسم على الجانب الأيمن من شط الحلة وفي نهر الشاه ويعيش رجال هذه العشيرة على الزراعة ويقدر أفرادها بـ٧,٠٠٠ نسمة. وجد هذه العشيرة أبو عبيدة عامر ابن الجراح. ونخوتها (عامر) أو (عمور) ويدعي البعض أن جد هذه العشيرة عمر و بن عبد ود العامري. وقد قصدت هذه القبيلة العراق من الحجاز ويسكن قسم منها أراضي عربستان.

بنو حسن: - من أعظم قبائل الفرات وأكبرها عدداً: تسكن ناحية جدول الغربي والكفل وقسم منها يسكن الكوفة ويمتد حتى قرب الشنافية.

وهي عبارة عن مجموعة عشائر متحالفة دعتها الضرورة إلى التحالف لصد هجمات الأعداء يوم كانت تنزل إلى البادية للرعي. وأكثر أراضي هذه العشيرة تقع على ضفتي الهندية. وقد دعا انقطاع المياه عن هذه العشيرة إلى انتشار أفرادها المتحالفين فسكن بعضهم ناحية هور الدخن ويتبع هذه العشيرة الحميدات والعوابد الذين هم في قضاء الشامية.

ويرأس هذه العشيرة (آل عباس) ويرجع نسبهم إلى (العباس) عم النبي (ﷺ) وقيل يرجع إلى العباس بن مرداس. يقدر رجال هذه العشيرة بـ١٢,٠٠٠ نسمة.

والنخوة العامة لهذه العشيرة (زغبة) ويقال إنها نسبة إلى زغبة الشام.

وقد يجوز أن يكون أصل هذه العشيرة من باهلة لأن نخوة باهلة (زغابة). ولهذه العشيرة حروب عديدة مع مجاوريهم آل فتلة.

(عشيرة طفيل):

يسكن القسم الأعظم من أفراد هذه العشيرة في ناحية الكفل على قناة الجورجية وقناة بني حسن وتنتمي هذه القبيلة إلى شمر. ويسكن القسم الآخر منها في ناحية جدول الغربي بين السدة وطويريج ولا تهتم هذه العشيرة بغير الزراعة ويقدر نفوسها بألفي نسمة ونخوتها العامة (منصور) نسبة إلى جدها الأكبر.

(الجنابيون):

تسكن هذه القبيلة في ناحيتي جرف الصخر والاسكندرية. وفي أكثر العشائر الفراتية أفراد من هذه العشيرة مهنتهم حراسة القبائل التي يحطون رحالهم فيها وإنما أعطوا الحراسة لأنهم اشتهروا بالسرقات فجعل الشيوخ (حاميها حراميها) تخلصاً من شرهم. ويقدر نفوس هذه العشيرة بـ٦,٠٠٠ نسمة ونخوتهم (عكاب).

(عشيرة كريط):

يسكن القسم الأعظم من هذه العشيرة في ناحيتي السدة والكفل على قناة الجورجية وقناة بني حسن كما يسكن القسم الآخر منها في

الشامية وتشتغل هذه العشيرة بالمزروعات الشتوية وتربية الماشية وقد عرف أفرادها بقوة الشكيمة وصلابة العود وتقدر نفوسها بألفي نسمة. ومع قلة عددها فإن العشائر تحسب لها ألف حساب لجرأة أفراد هذه العشيرة.

وأصل هذه العشيرة يرجع إلى شمر وقد سكنت أراضي الفوار سابقاً وبعد اندراسها رحلت عنها. ونخوة گريط العامة (السناعيس)، (الچلبي).

ويسكن في هذا اللواء عدد قليل من عشيرة آل فتلة أهملنا شرحها لأن أكثر هذه العشيرة يسكن في لواء الديوانية فجاء ذكرها في ذلك اللواء.

عشائر لواء الديوانية

أهمها هي:

(عشيرة آل فتلة):

من أهم عشائر الفرات الأوسط وأكثرها سطوة وأعزها جانباً ونفوذاً وأغزرها ما لا عشيرة آل فتلة. عرف أهلها بالسخاء والكرم والشدة والقوة واشتهروا بالترف فأشاد كل رئيس منهم القصور والبنايات الشامخة في محل سكناه ولهذه العشيرة شأن لا يستهان به في الزراعة.

وهذه القبيلة نزحت من الفرات إلى الفوار ومنه إلى الهندية والسماوة وبعد ذلك إلى المشخاب. ولا يزال أكثرهم في المشخاب اليوم. وقد ساعدتهم الحكومة العثمانية على السكنى في المشخاب والشامية لأنها آنست منهم الطاعة وأرادت أن تكون بالاتفاق معهم جبهة تصد بها عصيان الخزاعل وآل شبل وبني حسن.

وقد سكن آل فتلة قضائي الشامية وأبي صخير قبل ٨٠ سنة تقريباً. وجدهم الأكبر (ناصر) ولذلك تجد (ناصر) النخوة العامة لعموم عشائر الفتلة.

ولهذه العشيرة مواقف مشهورة في الثورة العراقية. ويقدر نفوس هذه العشيرة بـ٢٠,٠٠٠ ألف نسمة. وأصلهم من عشائرالدليم ويرجع نسبهم إلى أنس بن مالك. ويدعي شيوخهم أنهم من اليمن من عشائر قحطان ويتبعهم عند الحرب الجبور، طفيل، جليحة، الكرافة، گريط.

(عشيرة الخزاعل):

بيت شرف ورئاسة من أقدم الأزمنة، أصلهم من خزاعة وجدهم (علي بن دعبل بن علي) وينتهي نسبه إلى سليمان بن صرد الخزاعي أحد

أشراف الكوفة القديمة. رحلوا إلى الشام من اليمن ومنها إلى العراق وهم أول العشائر التي سكنت الديوانية ويقال أن الديوانية نفسها كانت ديواناً (مضيفاً) لأجدادهم. وفي الشام واليمن وإيران قسم كبير من الخزاعل اليوم.

وأهم المراكز التي يسكنها الخزاعل هي: هور ابن نجم وهور الوريجي وشمالي الغماس. ويشتغل أفراد هذه العشيرة بالزراعة ورعي وتربية الإبل.

وقد آخى أجدادهم النبي (ﷺ) ولذلك فنخوتهم اليوم (فاطمة) وهي النخوة العامة للهاشميين. ويترفع أفراد هذه العشيرة من مصاهرة غير العلوي (السيد) فلا يزوجون بناتهم إلا من خزعلي أو علوي حتى ولو خطب أحقر بناتهم أعظم الرؤساء.

انتشر وتكاثر الخزاعل في الفرات بعد أن عينت الحكومة العثمانية جدهم حسن باشا والياً على بغداد. ويقدر نفوسهم اليوم بـ٥,٠٠٠ نسمة وقد عرفوا بالشجاعة والبسالة.

(عشيرة آل زياد):

يرجع أصل هذه العشيرة إلى عنزة ولفخذ الرولة منها. وقد قصدت العراق من (نكرة الشام) وأول من جاء العراق هم: زياد وجابر وتويه أولاد محمد بن دعي ويسمى اليوم أولاد الأول من الأخوة بآل زياد ومقرهم الأصلي السماوة وقسم منهم في ناحية الغماس والقسم الآخر في قضاء الچبايش. ويدعي البعض أن نسب آل زياد ينتهي إلى عبيد الله بن زياد ولا نستطيع الجزم بذلك. ويقدر نفوس آل زياد بـ٧,٠٠٠ نسمة.

ويسمى أولاد الأخ الثاني الجوابر ومسكنهم أراضي الخضر. ويسمى أولاد الثالث آل تويه وهم بجوار أخوتهم الجوابر.

والنخوة العامة لآل زياد (مبارك) نسبة إلى العبد الذي ربى الأخوة الثلاثة بعد وفاة أبيهم محمد بن دعي وإنما اختاروا هذه النخوة لأن العبد كان بطلاً وفارساً مقداماً وهم قد نشؤوا في حجره واتخذوه لهم مربياً ومدرباً. وقد قصدت هذه العشيرة العراق قبل ٣٠٠ سنة تقريباً.

(عشيرة آل إبراهيم):

تسكن هذه العشيرة في المشخاب اليوم وجدها الأكبر (إبراهيم ابن مالك الأشتر) وهم من سكان العراق القدماء وأصل مسكنهم لواء المنتفك ثم هاجروا إلى نواحي كربلاء لتربية المواشي وبعد ذلك تفلحوا عند السادة آل زوين في الحيرة ومنها انتقلوا إلى المشخاب مع آل فتلة. ولا يزال قسم منهم اليوم في المنتفك. وعرف أفراد هذه العشيرة بمهارتهم في الزراعة وهم يمتلكون اليوم أراض واسعة وبساتين عامرة وتقدر نفوسهم بـ٦,٠٠٠ نسمة ونخوتهم هي (أولاد حسين).

(عشيرة آل شبل):

عرفت هذه العشيرة بالرعي أكثر من الزراعة وأصلها يرجع إلى شمر طوگة وقد قصدت العراق من نجد أيام حكم (المهني الهيس) رئيس الخزاعل فأسكنهم هذا مع عشيرته على حدود المنتفك في أراضي (العرجة) ثم قصد قسم منهم الشامية وبقي القسم الآخر هناك وتقدر نفوس عامة آل شبل بـ٤٠,٠٠٠ نسمة ونخوتهم العامة (شبل) وقد باشرت هذه العشيرة الزراعة. في أراضي الهور جنوب المشخاب. وقد أثرت النكارات على أراضيهم كثيراً ودمرتها.

وليست هذه العشيرة من أب واحد وإنما هي مجموعة عشائر متحالفة أطلق عليها اسم آل شبل.

(عشيرة الغزالات):

أصل هذه العشيرة من عنزة من فخذ (وائل). قصد العراق (رمح ودهيم) بعد أن طردهما أبوهما فسكنا أراضي (الماضخة) في قضاء السماوة ثم رجلا بالاتفاق مع آل شبل إلى الشامية وكل الغزالات المعروفين اليوم من نسل ذينك الشخصين. وقد عرفت عشيرة الغزالات بالرعي أكثر مما اشتهرت بالزراعة. وتقدر نفوس هذه العشيرة بـ٧,٠٠٠ نسمة وهم يسكنون بين آل إبراهيم وآل شبل في هور أصليب ونخوتهم العامة (شرماهي) نسبة إلى أحد أبطال أسلافهم.

(عشيرة الكرد):

احتاج حسين أحد زعماء آل فتلة إلى المال فقرب (مسير ومغيض) من الأكراد إليه وأقطعهم قسماً من أراضيه لقاء مبلغ قدماه له. وذلك قبل «٤٠» سنة فعمرا الأراضي التي امتلكاها وهي واقعة في ناحية الصلاحية وقد كثرت ذريتهما والتف حولهما بعض الأفراد ويقدر عددهم مع أتباعهم اليوم بألف نسمة. وقد عرف أفرادهم بالبسالة. وهم اليوم كعرب الفرات في العادات والأخلاق والزي ونخوتهم «عجمي».

(عشيرة آل بدير):

تسكن هذه العشيرة في بزاير شط الدعارة - شط الحلة - وقد نزح أكثر رجال هذه العشيرة (عندما قلت المياه الواردة لمزارعهم واندرست أراضيهم وذلك قبل بناء سدة الهندية) إلى لواء المنتفك وسكنوا أراضي «التساعين» ويسكن بعض أفراد هذه العشيرة على قناة بني حسن في قضاء طويريج.

ولو أعارت الحكومة أراضي آل بدير بعض العناية لاجتمع كل أفراد هذه العشيرة في موطنهم الأصلي «الدغارة». وكان عدد أفراد

العشيرة يربو على الـ٤٠,٠٠٠ نسمة أما بعد الهجرة واندراس أراضيهم لم يبق منهم أكثر من ألف نسمة. ولهذه العشيرة تاريخ ناصع وماض مجيد. ونخوتها العامة «حمير».

(عشيرة السعيد):

تسكن هذه العشيرة في أراضي ناحية الدغارة التابعة لقضاء عفك.

ويشتغل أفرادها بأمور الزراعة فقسط وتقدر نفوسها بألفي نسمة ونخوتها «صبحة» وأراضي هذه العشيرة قرب «جلعة شخير» على الجهة اليمنى من شط الدغارة.

(عشائر الاكرع):

مسكن هذه العشائر اليوم الدغارة و(سبل) الديوانية وقد قصدت العراق من اليمن ويرجع أصلها إلى شمر. والنخوة العامة لهذه العشائر (أخوة علية) وتبلغ نفوسها ١٢,٠٠٠ نسمة وأكثر مزروعاتها شتوية. وقد عرفت هذه العشائر بالجرأة ولها مواقف شريفة في الثورة العراقية وهي تتألف من البونايل، وآل محمد، وآل شبانة، وأهل المجاوير.

(عشائر عفك):

ومسكنها قضاء عفك. أصل هذه العشائر من باهلة وقد قصدت العراق من نجد وهي من أول العشائر التي أتت العراق ولم تسكن أراضي الفوار ولا يعرف بالضبط متى سكنت هذه العشائر هذا القضاء. ونخوتها العامة (باهل) نسبة إلى جدها باهل. وتنتهي الجرأة والشجاعة عند هذه العشائر وتبلغ بنفوسها ١٦,٠٠٠ نسمة تقريباً وعرفت هذه بالثراء وهي تتألف من آل غانم، البحاحثة، آل حمزة، المخاضرة، آل شيبة، البوناشي، البراجع، المچاتيب، آل حاچي طرفة.

(عشيرة بني عارض):

عشيرة قليلة العدد مسكنها ناحية الرميثة فقط. وسكنت هذه العشيرة سابقاً أراضي الفوار وبعد أنه رأسه استوطن رجالها الشنافية ومنها انتقلوا إلى الرميثة. وجد بني عارض الأكبر منصور ويرجع أصلها إلى عشائر شمر وتقدر نفوس عامة هذه العشيرة بـ٢,٥٠٠ نسمة على الأكثر والنخوة المتداولة بين أفراد هذه العشيرة (مصوخ)، (منصور) وعرف بنو عارض بالجرأة والفراسة.

(عشائر بني حچيم):

تتألف هذه العشائر من عدة بطون ومسكنها من الشنافية حتى الخضر وأصل هذه البطون من قريش ونخوة عموم عشائر بني حچيم (عامر) وتقدر نفوس هذه العشائر بـ٢٠٠,٠٠٠ نسمة تقريباً. وجد هذه العشائر الأكبر (عمار بن ياسر) أحد أصحاب رسول الله ﷺ وقد سكنت الفوار أيضاً وهذه العشائر تتألف من:

آل محسن، البوجاونلي، الجوابر، آل عبس، الصفران، آل زياد، الأعاجيب، آل عياش، البوصكر، الظوالم، ألبو حسان، بني زريج، آل توبة.

وزراعة هذه العشائر هي الشتوي. وهذا أهم بطونها:

الجوابر: - مسكنهم الخضر نفوسهم ٩,٠٠٠ نسمة نخوتهم (جابر).

الصفران: - مسكنهم مقابل السماوة نفوسهم ٦,٠٠٠ نسمة نخوتهم «عامر».

ألبو حسان: - مسكن هذه العشيرة الرميثة في أراضي «أبو واوية» وتبلغ نفوسهم ٤,٠٠٠ نسمة ونخوتهم «عامر».

الظوالم: - عرفوا بالبسالة والشجاعة وتشهد الثورة العراقية ببطشهم وأصلهم من شمر ونخوتهم العامة (باشا) وتبلغ نفوسهم ٤,٠٠٠ نسمة ومسكنهم الرميثة.

الأعاجيب: - مسكن هذه العشيرة الرميثة أيضاً وهي من أقدم العشائر التي سكنت هذه الناحية ونخوتها (جماز) وتبلغ نفوسها ٣,٠٠٠ نسمة.

(عشيرة بني زريج):

تسكن هذه العشيرة ما بين قرية الحمزة وناحية الرميثة اليوم ويشتغل أفرادها بالمزروعات الشتوية ومقر رئيس هذه العشيرة في ناحية الرميثة.

أصل هذه العشيرة من بني مالك وقد سكنت الفوار سابقاً ثم حطت في الرميثة بعد أن اغتصبت الأراضي من أصحابها قسراً ونخوة العشيرة العامة «زرگة».

ويبلغ عددها ٧,٠٠٠ نسمة وقد عرفت هذه العشيرة بالجرأة والشجاعة ولها مواقف مشهودة في الحروب.

السادة

يجل الشيعة العلويين عامة إجلالاً عظيماً ويحترمونهم كثيراً فلا يجرؤ عليهم أحد كما أن كلمتهم فصل الخطاب ويندر أن يتصدر غيرهم مجلساً حضره أحدهم. والسادة هم أبناء العلويين آل البيت. فإن أطلقت كلمة (سيد) في الفرات على أحد عرف أن نسبه ينتهي إلى أحد الأئمة الاثني عشر. ويعتبر كل شيعي إن للسادة حقاً في ملكه الخاص وفي واردة ولذلك يقدمون مع الطاعة إلى السيد قسماً من حاصلاتهم السنوية ويفتخر كافة الزعماء بمصاهرتهم.

كل هذا الإجلال دعا السادة أن ينتشروا في الفرات وعلى الأخص بين العشائر ويختلطوا معهم ويصاهروهم فكثرت ذريتهم. ويندر أن تجد قرية خلت منهم أو عشيرة لا يحط معها بعضهم. وهم أينما حلوا كانوا من المقربين عند الشيوخ ولذا صاروا يقطعونهم قسماً من أراضيهم ويخصصونها ملكاً لهم.

ومن هذا انتشرت أملاكهم في كل مكان فأشادوا المضائف الخاصة بهم وصاروا بمرور الزمن كفة تعادل الشيخ بممتلكاته وربما رجحوا عليه وصار لهم من الأنصار والأعوان والفلاحين العدد الكثير. وهم اليوم يملكون قسماً عظيماً من الأراضي الزراعية.

إن من ينتهي نسبه من السادة إلى الإمام الحسن بن علي سمي (حسنيًا) وهم قليلون عند الشيعة. ومن انتهى نسبه إلي الحسين سمي (حسينيًا) ومن كان جده الإمام موسى الكاظم سمي (موسوياً) ومن رجعت سلسلة نسبه إلى الإمام علي بن موسى الرضا سمي (رضوياً) وأكثر السادة اليوم من الحسينيين والموسويين.

ويتزوج كل سيد أكثر من زوجة واحدة حبًا في إكثار النسل ويندر

أن يتزوج ببنات الطبقة الواطئة من القوم فهو لا يصاهر إلا زعيماً أو سيداً مهما كان مركزه. بعض عشائر الفرات لا تصاهر العشائر الأخرى مهما كان وضعها ولا تزوج بناتها من أكبر الزعماء إن أراد خطبتها لكنها مع كل احترام تصاهر السادة فعشيرة الخزاعل مثلاً لا تزوج بناتها إلا من خزعلي أو علوي.

وتزاوج السادة من بنات الزعماء أمر جعل ذريتهم قويي الجانب فيساعدونهم أخوالهم على الدوام.

وأهم العشائر في الفرات من السادة هي:

«١» السادة آلبو طبيخ ومسكنهم الغماس والرميثة.

«٢» السادة آلبو مقوطر ومسكنهم الشنافية.

«٣» السادة المحانية ومسكنهم الفيصلية والصلاحية وهور الدخن.

«٤» السادة آل زوين ومسكنهم الحيرة.

«٥» السادة الياسريون ومسكنهم المشخاب وعددهم أكثر من غيرهم.

«٦» السادة النفافخة ومسكنهم هور الدخن.

وهناك عدد قليل من السادة المنتشرين في الفرات ولكنهم لا يملكون الأراضي الواسعة كما مر ذكرهم.

-١٨-

حياة العشائر

(١) المساكن:

يسكن أغلب عشائر الفرات الأوسط في مساكن تسمى «الصرايف» وتصنع عادة من القصب أو البردي وقد تكون من سعف النخيل وهي عبارة عن عواميد «حنايا» تربط بأربعة جدران من نوعها بشكل أسطواني وتغطي (بالبواري) وتكون الأبواب الأمامية للصريفة غالباً صغيرة لا يمكن دخولها دون ثني الجذع ولذا فالصريفة على الدوام مظلمة. ولا يمكن الحكم بضررها للصحة لأن مقوماتها الإنشائية ذات فتحات يتخللها الهواء على الدوام.

عندما يريد أحد أفراد العشيرة تشييد مسكن له يضطر أن يشيده على أرض مرتفعة خوفاً من الغرق فيحفر الأراضي المجاورة للدار ليأخذ منها التراب وبذا يكون مستنقعاً مهدداً صحته قرب منزله وهو يجعل ضرر عمله هذا.

وتجد في بعض الأماكن التي يسكنها الأشخاص الذين بيدهم سركلة الأراضي دوراً من الطين مسقوفة بجذوع النخل وللغرف ثقوب واسعة تساعد على إدخال النور والهواء.

ومما يلفت الأنظار أن المدافىء تكن عادة داخل المسكن في حفر تنشأ خصيصاً لتكون موقداً.

ولأكثر السراكيل وكل الشيوخ دار للضيافة تكون من القصب وسعتها تابعة لثراء صاحبها وكثرة أطيانه وتشييدها يكون على أرض مرتفعة كثيراً وتبنى بتناسق تحت إشراف أشخاص مخصوصين لهم الخبرة الكافية بإنشائها. ويجب أن يكون أمام المضيف بهو واسع يسمى «الدكة» وهو مجمع كل الفلاحين والضيوف صيفاً والأعمدة التي يرتكز عليها المضيف (الحنايا) لا بد وأن يكون عددها فردياً ويرجع سبب هذا إلى الاعتقاد بأن الفرد دليل اليمن في الاستخارة.

ويكلف بناء المضيف صاحبه مبلغاً جسيماً من المال لا يقل عما يكلفه بناء الطابوق ولا يرضى الرؤساء أن تبنى المضائف بالطابوق لأنهم يقلدون بذلك أسلافهم وحريصون على هذا التقليد.

ويملك بعض الشيوخ والسادة قصوراً متسعة لسكنى عائلاتهم وقد تكون ذات طوابق متعددة. كما أن لهم قلاعاً محصنة تسمى «المفتول» وهي على شكل منشوري ذات ثقوب كثيرة من كل الأركان تستخدم للحروب. ومن هذه الثقوب ينظر المحارب أعداءه.

وتبنى المضايف للقضاء بين المتخاصمين من أفراد العشيرة. وللاجتماع فيه أنظمة وقواعد خاصة فالفلاح مثلاً يجلس في محل يلي الكانون الواقع في وسط المضيف أما ما كان فوق كانون القهوة فهو معد للسادة والوعاظ والرؤساء والضيوف.

(٢) الكسوة والاثاث:

لا فرق بين لباس كل أفراد العشائر في مختلف جهات الفرات الأوسط ولا فرق بين لباس الأفراد في الصيف والشتاء فما هو إلا كوفية وعقال على الرأس وثوب أبيض من الخام العادي وعباءة. ويتمنطق كل منهم بحزام من صوف الغنم تتدنى أطرافه وراء ظهره يعلق به الخنجر أو (المگوار) ويسمى هذا الحزام (شرباك) وقد يرتدي بعض مثري الفلاحين

ثوباً يحاك من غزل الغنم ويدعى (زويني) ولا يلبس هذا إلا في أوقات الفراغ والراحة.

لا يفارق كل من أفراد العشائر لباسه هذا إلا بعد أو تخلقه يد الحدثان ويندران تجد بين أفراد العشائر من يرتدي حذاء في الصيف وفي الشتاء ويرجع أكثر ذلك إلى ضعف حالتهم الاقتصادية.

ويرتدي الزعماء والرؤساء أنفس الألبسة الحريرية والصوفية ويحتذون بأثمن الأحذية الأفرنجية. ومما لا بد من لبسه لكل الطبقات العباءة وقد تستعمل كفراش أو لحاف إذ أمست الحاجة.

يضع بعضهم خواتم عديدة في أصبعه وقد ينقش قسم منهم اسمه على أحدها فيستعمله كختم لأن أكثرهم أميون لا يستطيعون التوقيع.

وتلبس نساء العشائر (الثوب، والزبون) ويشترط أن لا يكون الثوب مجانساً للزبون كما يتقنعن (بالفوطة) ويلبسن العباءة.

وتتحلى النساء بتخضيب أيديهن بالحناء ويكتحلن بالأثمد. ويلبسن وردة أو خزامة في أنوفهن من الذهب كما يعلقن (التراچي) الأقراط الذهبية الكبيرة في آذانهن. ولا يزال الوشم مستعملاً كواسطة للجمال وهو من بقايا الأمم البعيدة عن التمدن. وقد يتخذ بعض الأفخاذ وشماً خاصاً لهم كما شاهدت ذلك عند رؤساء بعض عشائر ناحية الصلاحية.

أما أثاث أفراد العشائر فلا يستحق الذكر فهو عبارة عن لوازم بسيطة من الفرش وبعض الأواني النحاسية ولكن التفنن يظهر جلياً فيما يقتنيه الرؤساء فمنازلهم تحوي أجمل الأرائك والفرش والسجاد والأواني المتنوعة.

ومما يلفت النظر أن أكثر الفرش المستعمل عند كافة الطبقات هو الفرش الوطني المعمول عند العشائر أنفسهم ويدعون القطعة (غليچة) وقلما تجد أثراً للفرش الإيراني لديهم.

(٣) الغذاء:

إن ما يتغذى به العشائر من الأطعمة غاية في البساطة فهو لا يزداد على خبز الشعير (والحنطة عند الموسرين منهم) في المناطق التي تزرع الحبوب الشتوية فيها. وأما في مناطق زرع الشلب فأكثر غذائهم من خبز الدنان المخلوط بقليل من الأرز فيجعل كالعجين ويحمى على الطابوق[١] ويسمى هذا النوع (خبز الطابق) وقد يضيف بعضهم إلى خبزه قليلاً من التمر أو اللبن أو البصل.

وغذاء السراكيل عادة الأرز المطبوخ ونوع من (المرق) وأكثرهم يحضرون الدهن في إناء ويسكبونه على الأرز المطبوخ أثناء تناول الطعام ولا يضعونه في اقدور كما هو الحال عند أهل المدن. ولا يذوق العشائر قاطبة الحلاوة واللحوم إلا عند قدوم ضيف للسركال فإن قدم الضيف من الأشراف أو من موظفي الحكومة فينحر السركال الجزور ويقدمها برمتها إلى الضيف على أن يضع رأس الحيوان المذبوح فوق خوان الطعام أمام أشرف الضيوف وهذا يعطيه إلى الخادم الذي يغسل يديه بعد تناول الطعام. ولا يتقدم إلى تناول الطعام إلا من سكب على يده الماء قبل الأكل ولا يؤخر عن غسل اليد عادة إلا أهل المضيف وأتباعهم.

يتهافت على المضيف يوم قدوم أحد الضيوف الفلاحون دون دعوة ومنظرهم يدعو إلى العطف والرأفة.

وللاجتماعات في المضيف قواعد خاصة فيأخذ كل قادم محله حسب وجاهته وبعد إتمام الضيف تناول الطعام ينادي صاحب المحل (قم. قم. فلان) فمنهم من يعتذر ويكرر اعتذاره ومنهم من يقوم متثاقلاً

---

(١) الطابق يعمل من الطين على شكل آنية ويوضع عليه العجين وتشعل تحته النار بفضلات الحيوانات.

وهم يعبرون بذلك عن آبائهم وترفعهم من أكل فضالة غيرهم وهذه تعبر عن روح العربي ورفعته.

لا تغسل الأيدي بالصابون. كما لا تستعمل الملاعق والشوكات عند الأكل. وتوضع أواني الطعام على قطعة مستديرة من الحصير تعمل خصيصاً للأكل.

وعند إحضار القهوة تقدم أولاً إلى السيد (لأنه من ذرية العلويين فهو أشرف الحضور) ومن ثم إلى الموظفين والسراكيل وبعد ذلك إلى عموم الحاضرين.

يستعاب على الضيف أن طلب الغذاء إذا جاع ولا يستعاب عليه أن طلب القهوة.

أما التدخين فمنتشر انتشاراً عظيماً حتى بين الأطفال ويتعجب أحدهم أن رأى رجلاً لا يدخن وأما النساء فلا يدخن إلا ما شذ وندر.

-١٩-

حياة العشائر الإجتماعية

الشيوخ والرؤساء:

تنقسم القبائل الكبيرة إلى عشائر والعشائر إلى بطون والبطون إلى أفخاذ ويرأس القبيلة شيخ والعشائر والبطون والأفخاذ رؤساء. ويختلف نفوذ الشيخ أو الرئيس بالنسبة إلى مقدرته في إدارة عشيرته أو بالنسبة إلى غناه وسماحة كفه أو بالنسبة إلى علاقته مع رجال أسرته وكثرة ذويه وأقاربه. والشيخ يرث (الشيخة) على الأغلب من أبيه وقد يسود على العشيرة غير ابن الشيخ بالحيلة أو الكرم على شرط أن يكون من أسرة الشيوخ.

ويتمتع الشيوخ بنفوذ كبير فلهم حق معاقبة كل فرد من العشيرة أن تمرد على قواعد عشيرته أو ارتكب جرماً كما لهم الحق في طرده وإبعاده! وفي الطرد ما فيه من الإهانة والذل للمطرود. والشيخ يحل كل المشاكل والمنازعات وقراره فصل الخطاب.

إن عادى الشيخ أحداً (ولو لغرض شخصي أو مادي لا يمس غيره) عادته العشيرة بكاملها وكذا تسالمه أن سالمه. والشيخ هو الذي يذود عن أفراد العشيرة يوم الغزو والحرب ولو كله ذلك مبلغاً جسيماً كما فعل الشيوخ أيام الثورة العراقية.

والرؤساء يتصرفون بأراض واسعة يقوم بزراعتها الفلاح مضحياً بكل راحته في سبيل ترفيهم وبذخهم، وهو السلم الذي يرتقونه ليحصلوا على أمانيهم وبه يقاتلون أعداءهم ولوجود الفلاح يخشى بأس الرئيس ومع كل ذلك فالشيوخ قاطبة لا ينصفونه.

يأخذ الرؤساء القسط الأوفر من الثمر ويسلمه لهم الفلاح عن رضى. فهو الذي تحمل كل المشاق في إنتاجه ومع ذلك فهم يعاملونه بقسوة يزرع الفلاح أحسن أنواع العنبر ولا يمكنه أن يدخر قوته السنوي من (الدنان).

كثيراً ما تجمع الإعانات لبعض الشيوخ من الفلاحين ومن لا يملك الإعانة التي فرضت عليه يبيع شاته أو بقرته عن طيبة خاطر ويقدم ثمنها لشيخه ويعتقد أنه أدى بعمله هذا فرضاً واجباً. ويعيش الفلاحون عيشة ظنك ويقضون أكثر أوقاتهم بين الأوحال وفي المياه والشيوخ لا يفارقون قصورهم المشيدة في تلك المزارع.

ولكل عشيرة (سوان) قوانين خاصة في العقوبات وغرامات معينة لكل جريمة يحكم الرؤساء بتأديتها وتجبى لكيس شيخ العشيرة الخاص.

ومع أن السواد الأعظم من أرض الفرات الأوسط أميري فالرؤساء يبيعون ويرهنون تلك الأراضي بصكوك خاصة والحكومة لا تعترف بكل ذلك ولكن المشتري أو الراهن يتصرف بالأرض كيفما شاء وكل ما تعمله الحكومة إنها تصدق ورقة التنازل عن السركلة من شخص لآخر. وقد تتداخل الحكومة في فصل بعض المنازعات بين الرؤساء من جراء معاملات البيع والشراء رغم عدم اعترافها به.

مما يدعو إلى الأسف أن ترى الفلاح العراقي متأخراً في الصحة متأخراً في كل شيء. فالواجب يحتم على أولياء الأمور سن أنظمة خاصة تضمن مصلحة هذا العضو العامل في المجتمع وتخليصه من بطش

المرابين أولاً والشيوخ ثانياً كي تنصف هذه الطبقة العاملة التي يستند عليها قوام الخزينة ولها فضل كل رفاه الشعب. كما يجب تحديد تكاليف الحكومة له فمن الظلم أن يزرع الفلاح الأرض ويعمر السداد ويحكمها ويصلح الطرق الخاصة ويقوم فوق ذلك بكل خدمات الشيوخ لقاء أجر بسيط لا يكفي قوته السنوي.

الوعاظ و«المؤمنين»:

تجد لكل قبيلة وفي كل قرية واعظاً يدعونه «المؤمن» وهو يحمل بيده مسبحة سوداء ومعتماً - على الغالب - بعمامة بيضاء. ووظيفته الوعظ والإرشاد ويحسم أيضاً المسائل الشرعية كالعقد والطلاق ومشاكل الإرث وكل هؤلاء الوعاظ من تلامذة مدارس النجف الأشرف الدينية. ومن «المؤمنين» من يكون وكيلاً عن المجتهدين ويطلق عليه عند ذاك اسم «الشرع» أي من يرجع إليه بالأمور الشرعية. ويمتاز هؤلاء بالتجلة والاحترام فيقبل إشراف العشيرة أيديهم ولا يترفع عن خدمتهم حتى الزعماء والشيوخ أنفسهم.

ويدفع لحكام الشرع «المؤمنين» الخمس الشرعي والزكاة والثلث من تركة الميت.

والمؤمنين يتجولون أحياناً بين العشائر ليلقوا عليهم الإرشادات والنصائح الدينية. وبينهم من يتطرق إلى مواضيع تاريخية ويذكر فضائل آل البيت وشيعتهم.

وبين (المؤمنين) من يتخصص لقراءة واقعة كربلاء ووفيات سائر الأئمة وينشد فيهم القصائد مدحاً ورثاء وتكون قراءته في مضيف الرئيس عادة فإن حضر تسابق الأفراد لسماع قراءته فيرقى الخطيب المنبر ويبدأ بالصلاة على محمد ﷺ ثلاثاً وإن توسط في قراءته تتغير نبرات صوته تبعاً لما يتلوه فيتحمس إن كان الموضوع يطلب منه ذلك كما ينحب كالثاكل

أن تطرق لموضوع الرثاء. ولا بد للسامعين من البكاء أو التباكي إن لم يكن لهم استعداد للبكاء أثناء ذكر أنباء الوفيات أو المظالم التي لحقت بآل البيت.

ويتقاضى القارئ مقابل قراءته أجراً تحدده العشيرة أو يقدمه له الشيخ (إذا كانت الأرض التي تسكنها القبيلة ملكاً للشيخ نفسه) والعادة أن تكون زيادتها أو نقصها تابعة لثراء الشيخ أو لنسبة مع معلومات القارئ وبعض القراء يتفقون شيوخ العشائر للقراءة طيلة أيام معينة فإن أتمها القارئ عاد إلى النجف.

الرقيق:

لا تخلو مضائف الرؤساء أو دورهم من عبيد يقومون بخدماتهم وخدمات ضيوفهم. فمن العبيد من كان مملوكاً لأسياده ومنهم من جاء بقصد الخدمة فقط وللثاني الحق أن ينفصل عن سيده متى شاء كما ليس للأول أن يتحرك خطوة بدون أمر مالكه. وأكثر العبيد المملوكين يرخصون أرواحهم في سبيل حفظ سادتهم فيقفون أثناء الحروب والغزوات سداً منيعاً للذود عنهم طلباً لمرضاتهم. والعار كل لعار للعبد إن عاد سالماً من وقعة قتل فيها مالكه.

على مالك العبد أن يقوم بكل نفقاته وزواجه من إحدى الوصيفات سواء أكان ذلك من وصائفه أم بشراء وصيفة غيره. وعليه أن يقدم للعبد فرسّ وسلاحاً كاملاً ليكون مسؤولاً عن حفظ حياة مولاه. وكثير من الشيوخ والرؤساء يعزون عبيدهم أكثر من اللازم حتى غالى بعضهم فقدم العبد على ولده. وقوة العبد مستمدة من قوة مولاه فإن كان المالك من ذوي النفوذ ومن الشخصيات البارزة كان العبد مهاباً محترماً والعكس بالعكس.

لو عينت أمة زوجاً للعبد لا يجوز عقد النكاح عليها بل لمجرد أن

يجيز مالك الأمة العبد بالزواج يتم الأمر. ونسل العبد يكون ملكاً خاصّ لسيده. وللسيد حق بيعه أو عتقه أو أن يهبه لمن يشاء.

إن بدت من العبد هفوة تستحق الفصل كقله أحد أفراد عشيرة سيده أو من غير العشيرة فعلى المالك أداء الفصل لذوي المقتول. وأن قتل السيد العبد فليس لأهل العبد وورثته حق المطالبة بفصله. وأن قتل العبد شخص آخر ففصله يكون لمالكه. وليس للعبد ملك خاص فلسيده الحق أن يتصرف في كل ما يملكه العبد وإن كان قد حصل العبد ذلك بكده وشغله الخاص.

ولا تصاهر العشائر العبيد قاطبة كما لا تصاهر من كان متهماً بالعبودية. والافتراء على أحدهم بالعبودية جريمة تستحق الفصل.

الوجاهة:

كثيراً ما يحدث نزاع بين عشيرتين لأمور تافهة أو هامة فتؤول النتيجة إلى إراقة الدماء ولا يستطيع عند ذاك كل من أفراد العشيرتين أن يمر بالأراضي العائدة للعشيرة الأخرى مهما كان الأمر.

وكثيراً ما تشتهر إحدى القبائل بالشراسة أو قطع الطريق فيكون المرور للمنفرد بتلك القبيلة أمراً يدعو إلى الخطر. وتسهيلاً لهذا أوجدت قاعدة (الوجاهة) التي يستطيع أن يمر الشخص في وسط أراضي قاطعي الطرق دون حمل سلاح وهو في مأمن والقاعدة هي أن يعلن المسافر أمام جمهور من الناس أنه مسافر بوجه (محمد) - مثلاً - ولا بد أن يكون محمد رئيس القبيلة التي يقطع المسافر أراضيها أو رئيس قبيلة أخرى قوية الجانب وأن يشهد على اعترافه بعض الحضور فإن اعترض سبيله أحد قاطعي الطرق يخبره بأنه قد سافر بوجه محمد وله على ذلك شهود فيضطر المعتدي أن يخلي سبيله. وأن تجاسر عليه - ويندر حدوث ذلك كثيراً - فيرفع المسافر الشكوى إلى موجهه ويثبت ذلك فينهض الوجه بكل ما

أوتي من حول وطول ليصد الاعتداء بمثله ويرجع المنهوبات إن كانت قد سلبت من موجهه ويستحصل فصل جريمة الاعتداء هذا إذا كان المقصود اجتياز سبل يخشى المسافر السلب فيها. وإن كان المقصود المرور بأراضي عشيرة معادية فعلى المار أن يعلن بأنه سار بوجه رئيسها أو أنه يصطحب أحد أفرادها أو صبيانها أو نسائها - دون أن يدفع لمرافقة أجراً - وبذا يسير آمناً مطمئناً. فإن صادف أن تجاسر على المار أحد فينهض رئيس الفخذ الذي سار المسافر بوجهه لرفع الحيف الذي لحق موجهه ولو آل الأمر إلى سفك الدماء وصرف المبالغ الطائلة. والسكوت على ذلك أمر يجلب للعشيرة عاراً لن يزول أبداً.

الدخالة والالتجاء:

إن ارتكب أحد أفراد العشائر ذنباً يستحق العقاب واستطاع الفرار من خصمه يلتجأ لشخص يعتمد عليه في الدفاع عنه والمحافظة عليه. ويعتبر الملتجىء إلى أحد رؤساء العشائر أولادي فرد من أفراد العشيرة ملتجأ إلى العشيرة بكاملها ويجب على الملتجأ به أن يجبره مهما كان جرمه وقبل السؤال عنه. وعند ذلك تسهر العشيرة على محافظته أشد من سهرها على محافظة نفسها ويقال للملتجىء «دخيل».

والتقصير في خدمة الدخيل والمحافظة عليه واحترامه أمر يجلب العار والشنار على العشيرة بكاملها.

وكثيراً ما أدت الدخالة إلى مشاكل وحروب عديدة وخسارات في الأنفس والأموال.

وطريقة الدخالة أن يقدم المجرم على من يريد الالتجاء إليه ويقول له (أنا دخيلك) ويتحتم على قابل الدخالة أن يتوسط حل المسألة التي قصده الداخل من أجلها.

لو دخل المجرم عند أحد أفراد العشيرة التي تطلبه فعليه أن يسلمه

إلى رئيس العشيرة والرئيس بدوره يوصله إلى أهله وعند ذاك تترتب عليه قاعدة الفصل. كما حدث ذلك في المهناوية عندما اعتدى أحد الأشخاص على صيهود من رؤساء عشيرة الفتلة والتجأ بآل ثامر أحد أعمام المعتدى عليه سلم المعتدي إلى صكبان أخي صيهود وهذا بدوره أوصله إلى ديار أهله.

إن صادف أن اعتدى أحد طالبي الدخيل على الدخيل وهو في استجارة أقربه يعلن القريب العداء وينضم إلى آل المستجير وربما أدت الحالة إلى حدوث ما لا تحمد عقباه.

إن ارتكب شخص جرماً لا يمكن حسمه حسب القواعد والتجأ بآخر فعليه أن يأويه كما حدث ذلك عام (٩٢٧) عندما قتل عبد العباس آل مزهر - أحد شيوخ الفتلة - أخاه والتجأ (بشبوط آل زيرج) من رؤساء بني ركاب فآواه هذا وأخفاه مع أن الشرطة كانت تعقبه كثيراً حتى اضطر إلى أن يخفيه مع عائلته ونسائه ولو كانت الشرطة قد عثرت عليه لاعتبر شبوط شريكاً للمجرم بنظر القانون.

صادف أن قتل شخص السيد أحميد ألبو مهنة قرب مزرعته فعقبه آل القتيل حتى قطعوا عليه السبل فالتجأ عند ابن عم القتيل وقيل هذا دخالته ثم أخبر بأن المستجير قد قتل ابن عمك فلم ينكث عهده بل أوصله إلى ديار أهله.

وهناك أمثلة كبيرة لواردنا حصرها لضاق عن نطاقها هذا المختصر تثبت أن هذه القواعد مرعية قولاً وفعلاً.

لا يخفى أن هذه العادة لا تخلو من محاسن فكثير من المنازعات التي يصعب حلها بالطرق المألوفة والمتعارفة تفصل بواسطة الدخالة لرسوخ الاعتقاد في أدمغة عشائر الفرات الأوسط أن التخلي عن الدخيل أمر مستحيل. فيتنازل صاحب الحق عن بعض حقوقه وبذا تحل

المشكلة. كما إنها لا تخلو من مساوىء حيث بالاعتماد عليها يقدم ذوو النفوس الشريرة والمقاصد السيئة على الإجرام ويركنون إلى هذا المستند الذي هيئوا سبيله قبل الإقدام والشروع بالجرم.

الموتى:

يعتقد الشيعة عامة بأن الشخص إن توفى يستحسن أن يدفن في النجف الأشرف ليجاور مرقد الإمام علي ﷺ وبذلك يثاب المتوفى ويكون كمستجير بالإمام ليشفع له بجاهه عند الله تبارك وتعالى. ولذلك تنقل جنائز الموتى على الأكثر إلى النجف اللهم إلا الفقير فيدفن بجوار قبر أقرب سيد أو عالم أو زاهد من محل وفاته.

ولذلك ترد جنائز الشيعة من أقصى البلدان لتدفن في النجف الأشرف.

والفراتيون كسائر الشيعة في تلك العقيدة ينقلون جنازة الميت بصحبة بعض أرحامه إلى النجف فيغسل الميت ثم يصلى عليه ثم يدخل به الحرم لأداء الزيارة ومن بعد كل ذلك يوارى التراب بكفنه دون التابوت ويشترط أن يكون خده الأيمن على التراب.

إن مات أحد الوجوه أو الرؤساء من العشائر فيجتمع أفراد العشيرة والعشائر المحالفة والمجاورة وعند قدوم كل عشيرة تستعرض وتهوس هوسات تتضمن مفاخر الراحل ومواهبه وكرمه وترفع الجنازة على الأيدي ويسير الموكب لمسافة بعيدة عن المدينة ثم تنقل على إحدى الوسائط النقلية ويركب المشيعون أيضاً خيولهم أو نفس الواسطة ويطلقون عيارات بنادقهم السارية في الفضاء وكلما مر الموكب بعشيرة محالفة رافقت الجنازة للتشييع لمسافة أو إلى النجف وتدفن الجنازة في المحل الذي يوصي به الميت أو في محل مناسب ومكانته إن مات دون توصية.

وتستوفي دائرة الأوقاف رسوماً على الجنازة إن كان الدفن في الصحن الشريف كما تستوفي دائرة الصحة (١٩٠) فلساً عن كل جنازة. وإن كانت الجنازة أجنبية فتستوفي دائرة الأوقاف رسوماً باهضة أينما دفنت الجنازة وكلما قرب الدفن من مرقد الإمام كانت الرسوم أبهض.

وعند الانتهاء من الدفن يقيم ذوو الميت الفاتحة لمدة ثلاثة أيام يقرأ فيها القرآن الكريم ويهدى ثواب القراءة لروح الميت. وأما العشائر فيضربون الخيام الخاصة للفاتحة ويقدمون للمعزين الطعام طول مدة بقائهم ويقومون بلزوم ضيافتهم. ويجب على كل معز أن يحضر معه أما السكر أو اللبن أو الشاي أو التمن أو الأغنام لأهل الميت كمساعدة لهم وذلك على حسب أقداره وثراه أو صلاته مع أهل الميت وإن كان القادم من علية القوم فإنه يقوم بكسوة ذوي المتوفى أو يقدم لهم كمية من المال.

والفاتحة عند العشائر تكون عادة من ثلاثة أيام إلى السبعة. وفي أيام الفاتحة يفد بعض الشعراء الفقراء ويلقون القصائد ثناء على الراحل فينالهم بعض العطاء. وبعد انتهاء أيام الفاتحة يقوم بعض الوجوه من ذوي العلاقة بالمتوفى ويهد أوتاد بيت الشعر رمزاً لانتهاء الفاتحة فيمانعه أهل الميت وبعد الإصرار يرغمون على ذلك وهكذا تكون الفاتحة قد انتهت.

ويلبس أفراد عائلة المتوفى السواد رمزاً للحداد كما يصبغ كل أفراد العشيرة الكوفيات بالنيل لذلك أيضاً ولا تحلق اللحى والرؤوس إلا بعد مرور أربعين يوماً على الوفاة.

ويقيم نساء المتوفى الفاتحة كذلك ويلقين القصائد رثاء للميت يتعرضن لمكارم أخلاقه أيضاً. وتعرض نساء العشائر سلاح المتوفى في المآتم رمزاً لبطولته.

الحروب والغزوات:

تنشأ الحروب بين عشائر الفرات الأوسط عادة من عدم توصل المتخاصمين إلى حل نزاع بطريق من الطرق المألوفة أو من أهاجة بعض الخواطر عن الأحقاد الكامنة أو من اختلاف يحدث حول تعيين الحدود وتوزيع المياه. وقد تحدث الحروب لأمور تافهة لا تستحق أقل أهمية كدخول مواشي أحدهم زرع غيره.

وعلامة الحرب هي أن يرفع شيخ العشيرة علماً خاصاً فوق داره أو قلعته فيعتبر الأفراد ذلك بمثابة إعلان الحرب وإصدار الأمر بالنقير العام. فيتسابق أفراد العشيرة ومحالفوها إلى القلعة مرددين الأهازيج بنغمة خاصة تعرف (بالهوسة) حاملين بنادقهم وكل معدات الحرب. فإن قام الخصم بمثل هذا فذلك دليل عدم التنازل والوافقة على البدء بالحرب. قد يستمر احتشاد المحاربين والمحالفين لهم أياماً عديدة. فإن حضر الكل يبدأ الرؤساء بتفقد عدة المحاربين وعتادهم وعليهم تكملة كل النواقص والقيام بكل مصروفاتهم طيلة أيام الحرب.

وكثيراً ما يتوسط حل بعض المشاكل (السادة) أو شيوخ عشائر أخرى حقناً للدماء - ويندر أن ترد للسيد وساطة - فيتفق الخصمان على شروط خاصة وينتهي كل شي. فإذا لم يحدث ذلك فالقتال حاصل لا محالة من أول طلقة تصدر من إحدى الجهتين ومطلقها يعد بنظرهم «ابن زانية» وهنا من كان له غريم يطلبه للبراز وجهاً لوجه.

إن اتقدت نيران الحرب تبدأ المرأة بتمثيل دورها فتسير سافرة بين الجموع (مهلهلة) محمسة عشيرتها محقرة ومزدرية بمن تلوح على محياه دلائل الخوف والوجل فتزيد المحاربين إقداماً والنار استعاراً.

لو تأكدت إحدى العشيرتين أن الخذلان أو شك أن يدركها تسلك سبل الصلح فإن أفلحت فيها وإلا يستمر القتال حتى تنقرض فيدخل

الغالب أرضها ويدك قلاعها وحصونها ويحرق بيوتها وينهب أموالها فتضطر العشيرة المغلوبة أن ترحل عن أرضها دون أن يلحقها العار ثم تعود المنتصرة إلى حصونها (بهوسات) وأهازيج وطلقات نارية مؤرخة هذه الوقعة ومفتخرة بها.

والقاعدة المتبعة في المنهوبات أن لا تقسم بين المحاربين فكل من نهب شيئاً يكون ملكاً خاصًا به. وأما الأراضي فتقسم بي الزعماء كل حسب جاهه وشخصيته.

لا دية للقتلى إن عقد الصلح أثناء الحرب ويستثنى من ذلك من مات مبارزاً. وعلى شيخ العشيرة أن يجهز القتلى وينقلهم إلى النجف لا شرف لدفنهم. وفي الهزيمة ما فيها من العار والشنار الذي يمحوه عكر السنين ومر الأعوام.

وعشائر الفرات عرفت بقوة شكيمتها وصلابة عودها وتحمل أبنائها الجوع والعطش ومن الصعب جدًّا إخضاعها. وإن غلب على أمرها فهي تظل مترقبة الفرص السانحة طول حياتها للإيقاع بالغالب ويتناقل الأبناء عن الآباء المغلوبية بقصد إثارة روح الحماس لطلب الثار وقت سنوح الفرصة الملائمة.

الإرث:

ليست قواعد تقسيم الإرث المتبعة في عشائر الفرات كما جاء به الشرع الإسلامي أو المتبعة في مدن الفرات أو غيرها من البلدان الإسلامية فليس للذكر عند العشائر مثل حظ الأنثيين كما أن الأخوة لا يرثون بالتساوي. فالعادة المتبعة على الأغلب أن المرأة لا ترث كما أن أكبر الأخوة إن كان حازماً يختص بما ورثه أبوه ويقوم هو بلوازم أخوته ويسد نفقاتهم وحاجياتهم وقد يقتسم الأخوة الميراث ولكن على شرط أن يتنازلوا عن ثلثه لأكبرهم وتسمى تلك الحصة حق (الكبرة) ثم تجري

القسمة بينهم بالتساوي فإن مات الأكبر ورث الثلث أكبر الباقين. وقد يقتسم بعض الأخوة المتكافئين أو الذين هم من أم واحدة التركة بكاملها ولا يتركون للصغار شيئاً.

ومن الأولاد من يتصرف بممتلكات أبيه أثناء وجوده لكفاءة تبدو منه أو لتأثير أمه على زوجها إن كانت من مقربات نساءه إليه ويبقى هذا الولد متصرفاً بالأراضي التي كانت تحت نفوذه أيام وجود أبيه وبعده فإن ظهر بين أخوته من فاقة بالدهاء أو سماحة الكف سلب منه الأراضي. وكثيراً ما تحدث هذه الأوضاع التخالف والنزاع بين الأخوة وربما أدى ذلك إلى قتل بعضهم بعضاً. وهذه الحالة كثيرة الحدوث إن هرم الأب وعجز عن إدارة مزارعه فيسلمها لأحد أولاده ولا يرضى هذا أن يتنازل عنها لبقية أخوته بعد وفاة الأب.

وهناك حالة أخرى وهي أن يسلم الأب زمام التصرف بكل قطعة من أراضيه إن كانت متباعدة لأحد أولاده ويستمر هذا على مباشرتها فإن ما الأب اختص كل بما في يده.

هذا بعض ما لفت نظري من الطرق المخالفة للشرع المتبعة هناك مع أن مثل هذا لا يحدث في المدن الفراتية ومع أن العلماء يحرمون أمثال هذه الاعتبارات وإن أحيل لهم نزاع أمثال هذه القضايا يبطلون القسمة من أصلها.

الإجرام والفصول:

للعشائر قواعد خاصة وقوانين غير القوانين المدنية وقد أقرتها الحكومة ويعاقب المجرم بموجبها ويحكم في الجرائم والعقوبات رؤساء العشائر كل حسب قواعد عشيرته الخاصة المأخوذة عن الأسلاف. ولا يقدم المجرم من العشائر إلى المحاكم المدية.

ويسمي العشائر قوانينهم (سواني) وهي على الأكثر متفقة عند أكثر

العشائر. وأما الاختلافات الموجودة فهي بسيطة غير جوهرية.

إن قتل أحد من غير عشيرته فلآل المقتول ولكل فرد من عشيرته الحق في أن يقتل أي شخص يصادفه من عشيرة القاتل ولو كان هذا من الناقمين على فعلة قريبه القاتل.

وسنت قاعدة لحسم هذه القضية بالتي هي أحسن وهي أن يؤدي آل القاتل (الفصل)[1] بدل الدم المراق. فإن دفع الفصل سقط حق المعتدى عليه. ويجمع الفصل من أفراد العشيرة بكاملها فيدفع القاتل منه ما يدفعه غيره (وهذا هو السبب الذي يدعو إلى كثرة حدوث جرائم القتل) إلا إذا قتل أحدهم فرداً من عشيرته فإنه يدفع الفصل من ملكه الخاص ولا يساهمه أحد به.

ويقدم الفصل عادة إلى لجنة تشكل خصيصاً لتلك القضية قوامها بعض السادة وأعيان العشائر ورئيس عشيرة القاتل. فيحمله هؤلاء إلى مضيف رئيس عشيرة المقتول ويقدمونه له. ويقوم هذا بضيافتهم ولذا يسمون مبلغ الفصل (فرشة) أي مصاريف إطعام لجنة الفصل وضيافتها. فإن قبل الرئيس المبلغ انتهى كل شيء وزالت كل الضغائن ويكون آل المقتول عند ذاك بمأمن.

وقد يكون الفصل بالنساء وذلك أن تقدم عشيرة المقتول بعض بناتها لذوي القاتل. كما يجوز أن يكون الفصل من النقد والبنات، وإنما قدمت النساء في الفصل ليتزوجن آل المقتول وتكون عشيرة القاتل أخوالاً لأولادهم فتمحى كل الضغائن.

إن ولدت المرأة المقدمة كفصل للجريمة ولداً تعد فاصلة كما لو ولدت بنتين فلها الحق أن ترجع لأهلها إن شاءت. وإن كانت عاقرة أو ماتت قبل الولادة فلآل المقتول حق المطالبة بغيرها.

---

(١) الفصل، دفع مبلغ معين لكل جريمة لآل المعتدى عليه.

إن اتفق إن قتل أحد أفراد عشيرة المقتول المفصول شخصاً من عشيرة القاتل فيجب أن يدفع أربعة أمثال الفصل المتعارف وذلك لعدم احترام عهد الأمان الذي أعطته عشيرته يوم قبلت بالفصل.

إن قتل أحد أصحاب الأراضي آخر من عشيرته فيجب عليه أن يغادر العشيرة لمدة سبع سنوات علاوة على الفصل على أن يتصرف ذوو المقتول بالأرض طيلة سني المغادرة التي يسمونها (الجلوة).

إن اعتدى شخص على آخر بآلة جارحة (كالخنجر) وسبب ذلك عطلاً في جزء من أجزاء بدن المعتدى عليه يحلف هذا بمقدار الجزء المعطل ويدفع له الفصل بقدر ما أقسم عليه أن النصف أو الثلث أو الربع.. إلخ. فيكون الفصل نصفاً أو ثلثاً أو ربعاً... إلخ. المبلغ المحدود والمتعارف بين العشيرة. (صادفت حارساً في دائرة ري الدغارة قد أصيب بجرح في يده قبل عشر سنوات ثم جاء بعد هذه المدة مدعياً إن الجرح قد عطل ربع بدنه وأقسم على دعواه هذه فحكم له بربع الفصل المتعارف).

لا يحكم بفصل السارق الذي قتل ساعة ارتكابه الجرم إن جاء لسرقة أحد أفراد عشيرته. ويحكم بكامل الفصل أو نصفه عند البعض للسارق الذي جاء لسرقة عشيرة أخرى فقتل. ويجمع الفصل من عشيرة القاتل كالمعتاد. وقد لا يشترك بمثل هذا الفصل أفراد لعشيرة عند البعض الآخر.

إن اعتدى شخص على عفاف امرأة أو اعترض سبيلها وجب عليه تأدية الفصل لذويها ولا تشترك العشيرة مع المعتدي في مثل هذا الجرم لترفعها عن مشاطرة المجرم في فعلته هذه الوضيعة التي تنم على ضعة وحقارة نفسه.

إن قتل أحد من أسرة الشيخ الخاصة فلفصله قواعد خاصة صعبة جداً. كما لو اعتدى عليهم أحد.

حدث عام ١٩٣٣ في الفيصلية إن قتل جماعة من رؤساء الغزالات رئيساً آخر فأحيلت القضية على مجلس المحكّمين فحكم بما يأتي:

يسجن القتلة لمدة سبع سنوات ويغادر أقاربهم أراضيهم الزراعية ولا يدخلون الفيصلية لمدة ثلاث سنوات على أن يتصرف ذوو المقتول بممتلكاتهم طيلة سني التبعيد وبعد هذا يدفع لآل المقتول أربعة أمثال الفصل على أن يكون ذلك من خالص حلال القتلة. كل هذا التشديد يحكم به العشائر لأن المقتول من الرؤساء ولو كان من سائر الناس فلا يتحمل القاتل أكثر من غيره من أبناء عشيرته من الفصل.

وللرؤساء امتيازات أخرى ومعاملات فوق ما يتصور وهذه أحدها:

اعتاد الشيوخ أن يفتشوا مزارعهم بين آن وآخر فصادف أن حل أحدهم في الكفل دار أحد فلاحيه ونازع فلاحه على أمر زراعي فرفع الفلاح صوته على الشيخ فأغاظ الزعيم هذا التجاسر وعاد غضباناً فالتجأ الفلاح إلى أحد أصدقاء الشيخ ووسطه وبعد اللتيا والتي اقنع الشيخ على أن يرضى عن فلاحه لقاء فصل قدره ٧/٥ دنانير يدفعها الفلاح وهي ضعف عائده السنوي.

من جرد سلاحه وشهره لقتل شخص فنبا يحكم على الفاعل بفصل خاص لكل عشيرة.

تفصل جرائم السرقات بإعادة المسروق فقط وقد يضاف إلى ذلك شيء آخر. إن كان السارق والمسروق منه من عشيرة واحدة ولا فصل في السرقات التي تقع بين عشيرتين.

تفصل الدواب المقتولة عمداً بتقديم أثمانها لأصحابها. ولا تقتل عادة إلا إذا دخلت مزرعة الغير بدون إذن منه. ويندر أن تقتل لدخولها في المرة الأولى بل يكتفي - عادة - بطردها. فإن دخلت ثانية تقطع أذناها أو

ذيلها أو تضرب بآلة قاطعة تترك عليها أثراً. وإن لم يربطها صاحبها ودخلت المرة الثالثة فقتلها أمر مشروع.

إن وقع تجاوز على امرأة يدفع الفصل لأخيها. وإن كان انتهاك سترها قد تم فعلاً فتقتل والمتجاوز. وقد تقتل وحدها ويدفع التجاوز فصل القتيلة والحشم. ويكون الفصل بتقديم أخت المتجاوز لآل القتيلة فإن لم تكن لديه فثلاث أو أربع من نساء أقاربه.

من تعمد قتل كلب غيره وجب عليه فصل الكلب وذلك بقواعد خاصة ومبالغ معينة فمنهم من يرفع الكلب الميت من ذيله ويربطه منه ويظل يلقى القاتل عليه من الدخن حتى يتغطى الكلب وهذا الدخن يكون فصل الكلب المقتول. ومنهم من يدفع مبلغاً معيناً أو يقدم إحدى بنات أقاربه فصلاً عن الكلب. لا يفصل الكلب إذا أثبت القاتل أنه دخل داره بغية السرقة.

صادفت في قضاء عفك قضية من هذا القبيل: وهي أن قتل كلب لأحد رؤساء آل بدير فما كان من صاحب الكلب إلا أن رحل عن داره - دليل الغيظ - ولم يعد إلا بعد أن أرضاه القاتل.

الاتهام بعبودية الأعمام جرم وعلى من اتهم بها أن يبرهن على بطلان دعوى متهمة بشهود يقدمهم. وإن كان بعيداً عن أهله وعشيرته العارفين نسبه وصعب عليه إحضار الشهود يرحل إلى مقر عشيرته ويستحصل شهادة موقعة من رئيسه تشير إلى نسبه وتنفي عنه العبودية فإن تم هذا يكون له حق المطالبة بفصل تلك الوصمة. والفصل يختلف عند العشائر فلكل منها قاعدة خاصة.

إذا اتهم شخص بعبودية أخواله فعليه أن يقصدهم ويخبرهم بالحادث فيتقدم أحدهم ويبرهن على بطلان التهمة فإن أثبت ذلك يستحق الفصل عند ذاك كما أسلفنا. والفصل يدفع للخال لا لمن وصم بأخواله.

فإذا لم يستطع أحد من المتهمين بالعبودية نفي تلك التهمة عنه فيصبح بعد ذلك رقيقاً تحرم عليه كثير من الحقوق ودية قتلة لا تساوي دية قتل العشيرة التي حط معها وبالإجمال فتنطبق عليه جميع قواعد ومعاملات العبد كما أسلفنا. ومن هذا يتضح أن تهمة العبودية شديدة الوقع على نفوس المتهمين! سيئة التأثير وتستعظمها العشائر كثيراً.

بعد أن ينفي المفترى عليه التهمة يحق له الفصل فإذا امتنع المفترى عن التأدية يحق للأول قتل الثاني على أن يدفع فصله لآله ويدفع ذوو القتيل فصل التهمة والافتراء بالعبودية وهذه قصة وقعت في قضاء أبو صخير عام ١٩٢٥ وهي:

قصد دائرة الشرطة شخص فانبأ بحدوث جريمة قتل وهذه بدورها أرسلت الشرطة لإحضار القتلة وأخبرت القائمقامية بذلك. وصادف أن ركب زورقاً وذهب لبعض مهامه فصادف الشرطة عائدين ومعهم القتلة فسألهم على ما ارتكبتم جريمة القتل فأجابوا بصلابة وبدون تلعثم هو الذي قتل نفسه فإنه رمانا بالعبودية وهذه الشهادة التي تنبيء ببطلان دعواه وقدماها للقائمقام. وهم على يقين من أنهم لم يرتكبوا جرماً وإنما قاموا بواجب مفروض عليهم.

ولو كانت الحكومة لم تقر هذه القوانين والقواعد لما حدث كل ذلك.

صادف أن اتهم أحد رؤساء جليحة في قضاء الهندية آخر بالعبودية وبعد أن أثبت المتهم بطلان التهمة حكم له المحكمون بتقديم بنتين له و١٦٠ ليرة وذلك لأن المتهم من طبقة الرؤساء فقبض هذا المبلغ واستمتع بالبنتين بدلاً عما ثل من شرفه بعد إسناد هذه التهمة له.

إن قدمت النساء كفصل فلهن أن يخترن الزواج بمن شئن من الأفراد الذين لهم الحق في أخذ ذلك الفصل.

وبالرغم من أن الدية في الفصل معلومة ومعينة فإن المحكّمين هم الذين يصدرون الحكم بتعيينها.

قد يعفى بعض الفقراء من الاشتراك في جمع الفصول وذلك نادر جدًا.

توزع دية الفصل على عشيرة المفصول له بعد أن يأخذ شيخ العشيرة ثلث المبلغ وتكون حصة أهل المقتول أكثر من غيرهم.

الأعياد:

اعتاد رؤساء العشائر في الفرات الأوسط أن يزوروا في عيد الأضحى والفطر مضايف السادة المجاورين لهم فتقدم لهم الحلويات والقهوة ثم يعودون إلى مضائفهم وهنا يتهافت عليهم السادة والوعاظ والفلاحون والعشائر المجاورة والمحالفة من كل حدب وصوب فيقدمون لهم الحلويات والقهوة أيضاً. وعلى كل وافد أن يعطي قهواتي مضيف الشيخ مبلغاً من المال حسب استطاعته وحالته المالية ومن تعسر عليه إحضار المبلغ يخجل من الذهاب لمعايدة الشيوخ.

وجرت العادة أن يحضر المعايدون من الفلاحين والمجاورين جماعات ومع كل جماعة (مهوال)[1] فيهوسون مفتخرين بمزايا ومفاخر الشيخ وأجداده ويذكرون مواقع انتصارات العشيرة وشرفها ومن ثم يتقدم كل فرد للسلام على الشيخ فيقف هذا مرحباً بالقادمين بوجه بشوش.

فإذا اكتمل جمع العشيرة تقوم بأجمعها ليستعرضها الشيخ أثناء الهوسة وتسمى هذه بـ(العراضة) وتختم الهوسات بالثناء على الشيخ والدعاء له.

---

(١) المهوال هو الذي ينظم (الهوسة) الأهازيج.

وعندما يحين الظهر يكون الشيخ قد نحر الجزور وأحضر الغذاء لكل الحاضرين فيتقدم الأفراد لتناول طعام الغذاء وقبل انصرافهم تعاد العراضة ثانية.

وفي يوم العيد يحضر الخيالة بخيرة جيادهم ويتسابقون في محل خاص ولا يتراهنون عليها في مثل هذا اليوم ويسمى هذا الركض (ميداناً).

وأما الأطفال فيلعبون بالبيض كل يكسر بيضة صاحبه فالمغلوب من انكسرت بيضته.

وفي اليوم الثاني للعيد يذهب الشيوخ لمعايدة المحالفين لهم من السراكيل والعشائر المجاورة. ولا بد أن يكون لكل عشيرة من محل تجتمع فيه ويكون غالباً قرب مرقد أحد الأئمة أو السادة أولاد آل البيت فيقصده الرجال والنساء بأتم الزينة فيمتلأ الجو برائحة الخضيرة والرشوش الذي يتطيب به النساء. ومن كان من الرجال فارساً يذهب إلى ساحة الطراد وتسمى (الموچب) وتكون تلك الساحة مستوية فيصطف الفرسان ويحمل كل منهم عصاً ويختار كل منهم مناولاً له ويسمعه كلمات يعدها المطلوب للسباق عاراً أن أحجم منها (هذي گصايب خطيبتك). (هذا فنجان فرسك) فإن اتفقا على الطراد يركض أحدهم ويلحقه الثاني فإن أدركه ضربه بعصاه أو رفع عقاله وكوفيته دليلاً للانتصار والسبق. وعندما تركض الفرس يناديها صاحبها بإحدى هذه الكلمات: الكحيلة. الصقلاوية المعنگية. وغيرها وذلك نسبة إلى أصل الفرس. والفوز والفخر عظيم لمن سبق!.

وفريق من المشاة يجتمعون حلقة ويكوّنون لعبة خاصة وهي نوع من الرقص بأنغام خاصة يسمونها (الچوبي) ويقف في وسط الحلقة مزمر وبيده (المطبگ) يزمر به وقد يرأس حلقة الچوبي غلام جميل طويل الشعر وعلى رأسه قلنسوة ملونة ويكون رئيساً للعبة.

ولعبة الچوبي لعبة خاصة فيميل كل راقص إلى الذي بجانبه أثناء القفز طوراً لليمين وآخر لليسار وإيعاز الحركة يكون بيد رئيس الحلقة. وهذه اللعبة منتشرة في الفرات الأوسط كثيراً ولا تخلو من بهجة ومسرة.

وقد يحضر راقص وضارب دف أيام العيد فيلتف حوله جماهير المتفرجين للتسلية. وتحضر أحياناً نساء (**الكاوليه «الغجر»**) للرقص.

إن وقع الراقص على أحد الحضور وجب عليه أن يقوم للرقص بدلاً منه وإن لم يكن يجيد ذلك فإن رفض دل ذلك على تحقيره للراقص وقد يحدث من ذلك ما لا تحمد عقباه.

وأغلب أفراد العشائر يجيدون الرقص.

وبعد غروب شمس اليوم الثاني للعيد يرجع الأفراد إلى المضايف ويتحدثون عن العيد وأحواله وعن السباق... إلخ.

-٢٠-

العشائر والمرأة

حالتها:

ليست المرأة في عشائر الفرات الأوسط كما تقول فلسفة التناسليات من أنها حاملة البذرة التناسلية وحاميتها. أو إنها ربة المنزل ومديرته.

فالمرأة في العشائر تقوم بتكاليف وأعباء ثقيلة أكثر مما يقوم به الرجل فهي تتحمل كل المشاق الزراعية فتشاطر زوجها في زرع الحبوب وحصادها ودياستها ونقلها وهي تقتلع الأشواك والنباتات الطفيلية من الأراضي الزراعية وهي التي تنهض مبكرة فتحلب البقر وتعلفه وتنظف محله ثم تخرج للتحطيب وإن كانت مرضعة تأخذ طفلها معها. وإن عادت تقوم بالعجن والخبز وتحضر الغذاء لزوجها. وهي تسهر الليالي لطحن الحبوب مغنية بعض الأغاني كيلا ينتصر عليها سلطان الكرى أثناء العمل.

قد يشتغل بعض النساء في جرش الشلب ليلاً في المجارش الكبيرة لقاء أجر بسيط يسلمنه إلى أزواجهن.

وتشتري المرأة حاجياتها وثيابها من أثمان الأحطاب أو البيض الذي تبيعه في السوق. ويقوم بعضهن بنفقات أزواجهن الكسالى من بيع اللبن وغيره. وبعد كل هذا إذا غضب الرجل على الزوجة طردها من بيته الخالي من كل شيء ولا يكون غضبه على الأكثر إلا لأمر تافه! أو ضربها

بقساوة ربما أدت إلى جرحها. ومع كل هذا فالمرأة في العشائر قانعة بعيشتها راضية بما قسم الله لها لأنها تجد أختها وجارتها وكل المحيطات بها يعشن كعيشتها ولو إنها اطلعت على أحوال المرأة العربية لا شك إنها تتمرد على كل هذه الأوضاع.

من كانت له ابنة عم فهي زوجته بطبيعة الحال ليس لأحد خطبتها وأن أقدم عليها أحد فهو الناهي وإن لم يرتدع المنهى كان القتل حقه دون استنكار.

من ارتكب جريمة تستحق الفصل قدم من بنات أقاربه أو بناته عدداً محدداً فصلاً للجريمة وتلاقي المرأة المفصول بها ما تلاقي من الذل والهوان عند من سيقت كالشاة لهم.

وقد مر ذكره عمل المرأة في الحروب والغزوات وهي أن رأت أحجاماً من محارب ألقت عليه فوطنها تريد أن تشبهه بالمرأة وفي هذا التشبيه ما فيه من التحقير.

لا مانع من أن تخدم البنت ابن عمها قبل الزواج وله أن يهدي إليها ما أراد كما له أن يجتمع بها بمحضر من أهلها على أن لا يتجاوز هذا حد الأدب ولا تخلو هذ القاعدة من الفائدة فيستطيع ابن العم رفض خطيبته إن لم تتفق في الذوق معه.

لا يلحق عار الزانية أهلها فقط بل العشيرة التي تمت إليها عامة ولكل فرد من أفرادها حق تعقيبها وقتلها.

الزواج:

إن كانت للشاب ابنة عم فهي - كما أسلفنا - ملكه الخاص وزوجته التي لا يتنازع في أمرها اثنان فيدفع لأهلها الصداق المحدود بين العشيرة فيتم كل شيء. وإن لم تكن له ابنة عم فإنه بعد أن يقع نظره على إحدى

البنات يرسل لأهلها مستفسراً عن رأيهم في إعطائها له فإن كان الجواب سلباً وجه نظره نحو غيرها كالمعتاد وإن كان ذلك إيجاباً فيرسل عند ذلك الخاطب (المشية) المؤلفة من علية القوم والسادة وبعد ذلك يعلن ولي أمرها الموافقة وتنتهي القضية. هذا إذا لم يكن هناك مانع كعدم موافقة أحد ذويها وإن وجد ذلك فعلى الخطيب أن يزيل ذلك المانع بإقناع المعاكس بالمال أو ما شاكل ذلك.

بعد أن يعلن ولي أمر البنت «للمشية» موافقته على هذا الزواج يرسل إلى إحدى نسائه رسولاً يطلب منها تحديد الصداق - هذا إذا كان الخاطب من غير عشيرتهم - فيقدم المبلغ ملفوفاً بمنديل على أن يرافقه مسكوك فضي ولأهل البنت حق التصرف بالمبلغ كيفما شاؤوا. وعلى العريس أن يقوم بشراء بعض اللوازم البيتية حسب احتياجه وثروته.

وفي ليلة الزفاف يذهب بعض نساء الزوج لإحضار البنت فيرافقها بعض أقاربها ويركبونها فرساً أو سيارة - وفي الأماكن النهرية زورقاً - ويتقدم الرجال فرساناً أمام العروس بمسافة ٢٠٠ متر تقريباً فيرتجز المهوال الهوسات وتطلق العيارات النارية في الفضاء إلى أن يصل الجمع أهل الزوج ويكون باستقبال القادمين أقارب العريس وقد هيئوا القهوة وحضروا العشاء ويستمر الرقص والمزاح والغناء والعريس معهم حتى منتصف الليل تقريباً وبعد ذلك يغادرهم للقاء زوجته. ويقوم معه بعض رفاقه فيدخلونه المحل المعد لزواجه وبعد مكوثه مدة وجيزة يعود إلى أصحابه للمضيف فيباركون له. ويظل العريس ملازماً للمضيف مدة سبعة أيام ولا يفارقه إلا ساعة النوم. وفي أثناء هذه الأيام السبعة يفد إليه أصحابه ومعارفه للتهنئة مستصحبين معهم الهدايا كالأغنام أو الأرز أو التمن «الرز» أو الشاي والقهوة والسكر أو الدراهم ويقدمونها تخفيفاً للمصاريف الباهضة التي يتكبدها أهل العريس طيلة أيام العرس. فإذا انتهى اليوم السابع يعود الزوج إلى ممارسة أشغاله المعتادة.

إذا رفض ولي أمر المخطوبة أعطاء البنت إلى الخاطب وكان الأخير ملحاً في طلبه يرسل له «مشاية» ويعلمها بعدم الموافقة فيدخل الموفدون مضيف ولي أمر البنت وعندما يقدم لهم الزاد يرفضون الأكل إلا بعد إعطائهم (البخت) العهد بإنجاز المهمة التي جاءوا من أجلها فإن وافق تناولوا الطعام وعرضوا له القضية فيكون مرغماً لأجابتهم وإلا تركوا الزاد وخرجوا والحالة الأخيرة تكون من دواعي النفور رغم إنها قليلة الحدوث.

إن ازدياد نساء الشيعي على الأربع يكون ما زاد خاضعاً لقواعد العقد القصير ولو لمدة (٥٠) سنة ويقال له زواج (المتعة) وهذا لا يحدث إلا عند الرؤساء والشيوخ أو السادة حباً بإكثار النسل.

كل هذه المظاهر والإبهات في الزواج تكون عند الشيوخ أما زاوج الأفراد فيكون في غاية البساطة.

زواج الصداق:

هذا النوع من الزواج أشبه ما يكون بالمبادلة ويسميه أفراد العشائر زواج (الصداق) وطريقته إن كان لأحد أخت أو ابنة وأراد التزوج ولم يكن بإمكانه إعداد الصداق المطلوب منه يتفق مع آخر عنده بنت من أرحامه فيقدم كل منهما قريبته للآخر ليتزوج بها على أن يدفع مبلغاً يسيراً كما حدده الميزان الشرعي لئلا يكون العقد حراماً. ويقدم الآخر مبلغاً معادلاً لما دفعه الأول.

وفي هذه القاعدة بعض الأمور التي لا تتفق مع الوجدان منها:

إن لم يتفق أحد الطرفين مع زوجته فله أن يطلقها ويأخذ قريبته التي صادق بها ويرغم زوجها على أن يطلقها أيضاً حتى وإن كانت ملتئمة معه ولها ذرية منه وراضية ببقائها عند زوجها. وقد يضطر من طلقت قريبته أن

يزوج المطلق بزوجة أخرى إن كان راضياً هو بزوجته. وإن لم يقتنع المطلق بذلك فله الحق في أن يصر على طلاق قريبته وأخذها.

وإن صادف إن غضبت إحدى المرأتين المصادق بهما مع زوجها ورجعت إلى أهلها فللأخرى أن ترجع إلى أهلها أيضاً ولا تعود إلا بعد عودة الأولى.

وهذه الطريقة تشابه المبادلة وليس لها شبه بالزواج ومضارها كثيرة جدًّا وليس فيها من المحاسن إلا التساهل في إكثار الزواج وتسهيل إيجاد النسل. وعقبة الحصول على الصداق عظيمة عند العشائر لا يمكن اجتيازها إلا بعد مشقة وعناء عظيمين لفقر طبقة الفلاحين.

النهبة:

قد يتمرد بعض النساء على التقاليد ويتضجر من القسوة التي يلاقيها من أنظمة العشائر. وقد يقع بعضهن في شراك غرام من لا أخلاق لهم فيتفقن معهم على الفرار من عائلاتهن أو أزواجهن وتسمى جريمة المتواطىء مع البنت على الفرار (نهبة).

عندما يقع مثل هذا الحادث يلتجيء أقارب النهوبة إلى التحقق عن المحل الذي آوت إليه قريبتهم فيبذلون كل غال حتى يدركوها. وبعد ذلك فقتلها أمر ضروري ومحتم.

وعند سماع أحد الأشخاص بفرار بعض قريباته يعمد إلى دلال القهوة فيقلبها وينزع عقاله من رأسه وتظهر على محياه دلائل الذل والانكسار ويظل هائماً يبحث عنها ولا يرفع عنه العار إلا بعد قتل قريبته. وقد صادفت عدة حوادث مأثرة من هذا القبيل وآخرها عام ١٩٣٤م يوم كنت في الدغارة وملخصها:

حاول أحد الفتيان الزواج من فتاة غير أن أهل البنت لم يوافقوا على

ذلك وبعد أيام فقدوا البنت وبعد التحقق ظهر أن الفتى الذي خطبها فر بها والتجأ (داخلاً) على أحد الزعماء فأجاره هذا دون أن يعلم جرمه فتجمع أهلها وسار ما يقرب من الأربعين رجلاً منهم مدججين بالسلاح ليلاً إلى مكمن البنت وعينوا المنزل الذي تسكنه الفتاة فدخل اثنان منهم وظل الباقون خارج البيت ليقابلوا من يحاول ممانعتهم وصادف أن الفتى كان غائباً فقتلوا البنت وعادوا إلى قريتهم ومعهم كفها التي اقتطعوها فعلقوها على المضيف برهاناً لغسلهم العار الذي لحقهم من جراء فعلتها. وراحوا بعد ذلك يطالبون المغري بالفصل والحشم.

إن كان للمرأة المنهوبة زوج من غير عشيرتها فللزوج حق المطالبة بالصداق الذي دفعه لأهلها ولذويها وأقاربها حق المطالبة بالفصل والحشم من الناهب.

والفصل والحشم اللذان يدفعهما الناهب يكونان حسب قواعد العشيرة المنهوب منها.

وأكثر العشائر لا يرضون أن يقبلوا الفصل فيقتلون الناهب ويدفعون فصله لأهله ويأخذون من أهله فصل النهبة.

وأكثر حوادث النهبة تدعو من إكراه أهل الفتاة ابنتهم على الزواج ممن لا ترتضيه لها زوجاً لأسباب عدة.

الصيحة:

قد تقطع المرأة منفردة سبيلاً لقضاء حاجة أو لزيارة أحد أو لغير ذلك وقد يحدث عليها اعتداء أثناء سيرها فلذلك وضعت قاعدة خاصة لمعاقبة مثل هذا الاعتداء.

إن صادف أن أسمع أحد امرأة فحشاً أو طلب منها منكرٌ فلها أن تصرخ مشيرة بفوطتها أو عباءتها أو أن تمسك بملابس المعتدي أو تستحصل منه عقالاً أو ما أشبه ذلك كي تبرهن على ارتكاب المعتدي

الجرم وأن أخفقت في كل ذلك فمجرد كلامها مصدق. وبعد حدوث هذا يرفع ذوو المرأة الشكوى لدى المحكمين على المعتدي فيحاكمه هؤلاء على السنن الخاصة بعشيرة المعتدى عليها فإن ثبت الجرم وجب عليه الفصل وإلا فعليه أن يدفع (ستة دنانير) إلى (الصائحة) وتسمى هذه (فايهة). ولا يشترك أقارب المعتدي في فصل جريمة الصيحة لاعتبارهم قبح هذا الجرم وترفعهم من مشاركة المعتدي في فعلته هذه الوضيعة - كما أسلفنا -.

والفصل في مثل هذه الأحوال يعطى لأخي المعتدى عليها أن وجد وإلا فلأقرب أرحامها.

إن امتنع المتجاوز عن دفع فصل الصيحة فلأقارب المرأة حق قتله وعليهم أن يدفعوا فصله بعد خصم مبلغ فصل الصيحة من المبلغ.

إن تم انتهاك ستر المرأة قتلها أهلها وطالبوا بفصلها من المتجاوز عليها وإن ثبت أن الجرم وقع برضى الطرفين فيقتل الطرفان وليس لأقاربهما حق المطالبة بالفصل. ولو صادف أن فر المعتدي فتقتل المرأة ويطالب الفار وأهله بالفصل والحشم.

إن اتهم أحدهم بسمسرة البغاء فعلى من اتهم أن يعلن اسم المرأة التي توسطها السمسار فتقتل ويطالب المعتدي عليها بفصلها. وإن لم يثبت المتهم ذلك فعليه أن يؤدي فصل القتيلة والحشم لذويها.

النهوة:

تصطلح العشائر على منع أفرادها الرجل الذي يقدم للزواج من بناتها بدون رضى منهم وبموافقة أهل البنت فقط (نهوة).

إن خطبت البنت لأي شخص كان فلابن عمها الحق في النهوة حتى وإن أريد زواجها من أبناء عشيرته. وإن أريد زواجها من غير عشيرتها

فلكل من أفراد العشيرة الحق في النهوة. وإذا كان لأحد بنات أعمام عدة فله حق النهوة عليهن جميعاً وله أن يتزوج بهن كافة على أن لا يجمع بين الأختين إلا ما قد سبق. وله حق النهوة على بنات العم ولو كان متزوجاً. كما للعم حق النهوة على ابنة أخيه ليحفظها لولده حتى ولو لم يكن له أولاد فإنه يدعي أنه سيحتفظ بابنة أخيه فلربما رزق ولداً.

وطريقة النهوة أن يرسل الناهي رسولاً يحمل إلى المنهي نبأ عدم الموافقة على الزواج من البنت التي تقدم لخطبتها فإن امتنع فيها. وإلا يواجهه شخصياً ويكرر عليه النهوة فعند ذلك يقع الخطيب بين أمرين أما العدول عن العمل وأما إرسال «المشاية» لترضية الناهي بكل السبل وأما الاستعداد لملاقاة الحتف.

وقد تحل عقدة النهوة بمبلغ يسير من المال بواسطة «المشاية» وهذه النتيجة كثيرة الحدوث.

إن أصر الخاطب على الزواج فقتله أمر مؤكد وعند ذلك يدفع القاتل فصل القتيل ويطالب بفصل النهوة وهي أما أن تقدم له امرأة وأما أن يخصم مبلغ محدود من فصل القتيل.

لفتت أنظاري هذه الأوضاع فأدرجتها وهي خالية من كل مبالغة أو مغالاة وكلها أو أكثر منها حقيقي يحدث على الدوام ولا يستنكره الكل. ومما يقرح الفؤاد أن الحكومة تقر القوانين المتبعة وتعترف بها وهذا سبب كبير دعا إلى حدوث كل هذه الجرائم العديدة في تلك الديار.

-٢١-

المحكّمون والأحكام

المحكّمون هم من أهل الخبرة من وجوه العشيرة الذين ينتخبون للفصل في المنازعات والجرائم التي تحدث بين الأفراد فيصدرون الحكم ضمن القواعد والسنن الخاصة بتلك العشيرة ويصدقها الموظف الإداري بعد ذلك فتنفذ. ولا يهدأ الخصوم بالقرارات التي تصدرها الحكومة وحدها دون إشراف لجنة التحكيم. وينتخب المحكّمين عادة الخصوم أنفسهم فيوافق الموظف الإداري على انتخابهم ويشرف على أعمالهم وتحقيقاتهم حتى يصدر القرار.

فعند حدوث أي جرم يتقدم المدعي بعريضة ويطلب إحالة دعواه إلى لجنة التحكيم وهو لا يتخذ الحكومة إلا واسطة لتسيير الدعوة.

ورغم أن قواعد الفصل محددة ومعروفة فإن المحكّمين يصوغون حكمهم بشكل خاص ويقابله المتخاصمون بكل بهجة وارتياح دون ضجر ولو كان الحكم قد جار على أحدهم.

قدم شخص عريضة إلى مدير ناحية الدغارة عام ١٩٣٤ مدعياً أن امرأة أرسلت ابنته لورد حصانها العابث من النهر فرفس الحصان الطفلة وماتت وجاء هو طالباً فصل ابنته من المرأة التي كان يجب عليها أن تحسب لهذه العاقبة حساباً.

أحضر المدير المتخاصمين فانتخبا المحكّمين وعينَ يوم المحاكمة ووقع الخصمان على هذا.

حضر المحكّمون والخصوم في اليوم المعين فأفاد المدعي دعواه وقال زوج المدعى عليها - لأن المرأة لا تحضر الدواوين والدوائر إلا قليلاً ونادراً جدًّا فينوب عنها زوجها أو أحد أقاربها - إن البنت هي التي سببت القتل لنفسها فإنها لو رفضت ورد الحصان لما أصابها ضرر.

وإن القاعدة المتبعة عند العشائر في مثل هذه الأحوال أن يأخذ الحيوان القاتل فصلاً عن القتيل. ولكن المحكمين حكموا في هذه القضية بما يأتي:

إن فصل قتل المرأة المتعارف (١٨) ديناراً أو تقديم ابنتين من بنات القاتل ونظراً لأن القتل حدث دون تعمد فيلزم أن يعفى ثلث المبلغ وتتحمل القتيلة الثلث الثاني (لأنها لو رفضت ورد الحصان ما قتلت) ويلزم أن يتحمل المدعى عليه الثلث الثالث وقدره ستة دنانير.

فوقعوا الحكم وقبله الجميع عن طيبة خاطر وهكذا انتهى كل شيء. ولولا التحكيم لظلت هذه المعضلة سنوات عديدة وربما أدت إلى حدوث ما لا تحمد عقباه.

هذه واقعة قد لا تخلو من دعابة أصدر الحكم بها مجلس التحكيم أيضاً:

استعار أحد الفلاحين في ناحية الدغارة حصان صديق له ليرحل إلى بعض أقاربه وبعد العودة قاده إلى النهر ليورده فرفس الحصان الفلاح رفسة أماتته في الحال فتقدمت الدعوى لمجلس التحكيم وحكم لابن الفلاح بملكية الحصان الذي استعاره أبوه وهكذا خسره مالكه مع أنه لم يرتكب جرماً وسلمه عن طيبة خاطر للعقيدة الراسخة في مخيلته من أن الواجب والعرف يقضيان بذلك.

وهناك قرارات أخرى أصدرها مجلس المحكمين قبلها المتخاصمون

عن رضى رغم إنها لم تحسم على أسس منطقية وعقلية إلا أنها قطعت دابر النزاع على الأقل:

(١) ترك أحد أفراد عشائر الأكرع بندقيته المملوءة بالخراطيش عند باب داره وذهب لقضاء شغل فصادف أن مر عنز وأدخل رأسه في حامل البندقية فتعلقت في رقبته وذعر الحيوان من هذه وصار يعدو ويركض متضجراً فمر فتى وتقدم ليخلص العنز من ورطته فضرب العنز الأرض بالبندقية فانطلق عيار ناري قضى على الفتى فوراً.

فطالب أهل القتيل بفصل ابنهم من صاحبي البندقية والعنزة فألقى صاحب البندقية الذنب على صاحب العنز والقتيل نفسه وهكذا فعل صاحب العنز مدعياً أن البندقية والقتيل نفسه سبباً إراقة ذلك الدم.

فمن المسؤول؟ وكيف تحسم هذه الدعوى؟

أحيلت القضية على الأصول إلى مجلس المحكمين فأصدر حكمه كما هو آت:

يتحمل ثلث الفصل صاحب البندقية لأنه ترك سلاحه في محل عام معروض لكل خطر وفوق ذلك فهو محشو بالرصاص.

ويتحمل الثلث الثاني صاحب العنز لأنه أطلق سراح عنزه فسبب حادثة القتل.

ويتحمل الثلث الثالث الأخير لأنه هو المسبب الحقيقي للحادثة وهو الذي أغرى العنز. فقبل الكل بارتياح هذا القرار وأنتهى كل شيء.

(٢) انطلق حصانان من المربط وفرا دون أن يسوقهما أحد فمرا على طفل أحدهما عن يمينه والثاني عن شماله فمات الطفل لساعته ولم تكن عليه علائم حوافر أحد الحصانين كما أنه لم يصب بأقل جرح وكل ما هنالك أن الطفل قد مات ساعة مرور الحصانين وسقوطه بينهما.

راح أبوه يطالب بفصل ابنه من مالكي الحصانين وأخذ كل منهما

يلقى التبعة على غيره فحكم في هذا النزاع «الشراح» وهو من رجال التحكيم المعروفين عند عشيرة آل بدير فاحضر الحكم إناء وضع فيه لبناً خاثراً وأمر رجلاً بركوب أحد الحصانين والمرور راكضاً بالجواد محاذياً للإناء ففعل ولم يرتج اللبن الخاثر أثناء مروره ففعل بالثاني ما فعله بالأول فارتج اللبن وحكم على صاحب الفرس الثاني بالفصل مدعياً أن الحاصل أحدث أثناء مروره رجة في الطفل كما أحدثها في اللبن وهو الذي سبب القتل. فقبل الجميع الحكم. ولما كانت العادة الجارية كما أسلفنا أن يسلم الحيوان المسبب للقتل (عفواً) فصلاً للمقتول امتلك أبو الطفل الحصان بدلاً عن ابنه وانتهى كل شيء.

وهذا حكم آخر لا يخلو من دهاء حكم فيه «علي الصويح» وهو من المحكّمين المشهورين سابقاً.

كان لشخص زوجتان وكان لأحديهما ولد ولم يكن للأخرى نسل وكان النزاع قائماً بين الزوجتين على قدم وساق فخرجت أم الولد ذات يوم إلى النهر وعادت إلى بيتها ودنت من ولدها فصرخت وأعولت مدعية أن ضرتها قتلت ولدها ساعة مغادرتها البيت فرفعت هذه القضية إلى المحكم علي الصويح من قبل أبي الولد فطلب إحضار الزوجتين وكلف المتهمة بالقتل أن ترفع ثيابها حتى ركبتيها وتمر على الحضور بالمضيف بهذا الوضع ووعدها بالتبرئة إن فعلت ذلك فأبت وكلما ألح عليها ازدادت رفضاً وقالت إنها تهون الموت بريئة على القيام بهذه الفعلة لأن الحجاب بالغ لديهن منتهاه ثم كلف الأم - منفرداً طبعاً - بنفس التكليف فقبلت لمجرد أن وعدها بالحكم على ضرتها وبعد أن عاد إلى الرجال الذين كانوا بانتظاره في المضيف أخبرهم بأنه حكم على الأم بارتكابها هذا الجرم وأخبرهم بعمله ويقال إنها اعترفت بعد الإلحاح بفعلتها.

والمحكم استند بحكمه على عفاف المتهمة وعلى عدم موافقتها على التبرج أمام الرجال فكيف تقدم على هذه الفعلة الشنيعة.

-٢٢-

ملكية أراضي العشائر

تنقسم أراضي الفرات الأوسط إلى ثلاثة أنواع من حيث ملكيتها وهي:

(١) الأراضي الأميرية. (٢) الأراضي الوقفية. (٣) أراضي الطابو.

(١) الأراضي الأميرية:

- هي الأراضي التي تعود ملكيتها إلى الدولة. وحق التصرف والانتفاع من وارداتها لصاحب اللزمة الواضع يده عليها ويكون هذا القسم السواد الأعظم من أراضي الفرات. **وتقسم الأراضي الأميرية باعتبار منشئها إلى خمسة أنواع وهي:**

(١) الأراضي التي لم تقسم حين الفتح بين الغزاة والتي حفظت في بيت المال.

(٢) الأراضي المملوكة التي توفي أصحابها عن غير وارث ودون وصية فانتقلت لبيت المال.

(٣) الأراضي التي جهل أصحابها لمرور زمن عن تخليهم عنها إما لاندراسها أو لسبب آخر.

(٤) الأراضي التي أحيتها الحكومة بشق أنهار جديدة لها بأمر السلطان بعد أن كانت عديمة الفائدة.

(٥) الأراضي التي لا تعلم كيفية امتلاكها وأخذها بعد الفتح.

والأراضي الأميرية خاضعة للأوامر الإدارية والحكومة هي التي تراقب أمور زراعتها وتحت إرشادها يسير واضع اليد عليها.

وقد اعتبرت الحكومة العثمانية كل أراضي الفرات الأوسط الزراعية - تقريباً - من الأراضي الأميرية بحكم الفتح فلها حق التصرف في أمورها. كما اعتبرت الرؤساء والشيوخ كمستأجرين اسمتهم (سركال) وعقدت معهم عقود الإيجار على صكوك خاصة تسمى (سند تسقام) يوقعه السركال وتقدم هي لهم سندات تسمى (شرط نامة). وقد أهملت الحكومة الوطنية هذه الطريقة.

يعتبر الشيوخ الأراضي التي تحت تصرفهم ملكاً صريحاً لهم لأنهم سكنوها بعد حروب أراقوا فيها دماءهم وبذلوا أموالهم عليها. وقد تصرفوا بها وزرعوها منذ مئات السنين وكل الشيوخ لا تعترف بكون الأراضي أميرية إلا بالاسم فقط.

والمستأجرون أو الشيوخ يستفيدون من الأراضي الأميرية استفادة المالك الحقيقي من ملكه الخاص فهم يهبونها ويرهنونها ويتناولون عن السركلة لقاء مبلغ (أي يبيعونها).

وتستوفي الحكومة ٣٠٪ من واردات أراضي الشلب العامرة والقريبة من الأسواق، كما تستوفي من ٢٢ - ٢٥ بالمائة من نتاج الأراضي المتوسطة والبعيدة عن السوق، مع العلم بأن هذه الأراضي تروى بدون واسطة. فإن كانت تسقى بواسطة فحصة الحكومة عند ذاك تكون من ١١ - ١٥ بالمائة.

وكانت تستوفى هذه الرسوم نقداً بعد صدور سعر من الحكومة لتقدير ثن المزروع أما بعد صدور قانون الاستهلاك فصارت تستوفى الرسوم بعد بيع الحاصل وبذا تخلص الزراع من ظلم التجار الذين يدفعون عنه الضرائب ويلعبون بمزروعاته ما شاؤوا. وفوق ذلك فقد حسمت النزاعات والشكاوى والتلاعب الذي كان يحصل في تقدير حصة الحكومة من أصل الوارد.

(٢) الأراضي الوقفية:

- هي الأراضي التي خصصت وارداتها لإحياء الشعائر الدينية وتعمير المساجد وقبور الأئمة وإقامة المآتم الحسينية وبذل وارداتها على فقراء المسلمين وتنقسم إلى نوعين وهما:

أ - الأراضي التي لو كانت مملوكة فأوقفها مالكوها لتنفق وارداتها كما أراد الواقف ويكون التصرف بها للمتولي على أن يراعي شروط الواقف في وقفيته.

ب - الأراضي التي أوقفت بأمر سلطان من سلاطين الحكومة العثمانية وزمام التصرف بيد دائرة الأوقاف.

وحصة الحكومة تكون عشر الحاصل من الأراضي الزراعية أكان إرواؤها بالواسطة أو سيحاً.

(٣) اراضي الطابو:

- هي الأراضي التي يحمل أصحابها صكوكاً من الدولة تعترف بملكيتها لحامل الصك وله حق التصرف بها كيفما شاء فهي تصدق أوراق بيع هذه الأراضي وشرائها ورهينتها وإيجارها.

وليس في الفرات الأوسط من الأراضي الزراعية من هذا القبيل إلا القسم القليل ومنشؤه من الوالي مدحت باشا يوم قدم العراق فأراد إعمار

أراضيه وباعها على الشيوخ بأثمان زهيدة على شرط التعمير. بيد إن طريقته لم تنجح فظن رؤساء العشائر إن غاية الحكومة من هذا توطين عشائرهم وأسكناهم في محل واحد بغية تطبيق قانون التجنيد الإجباري عليهم. كما أن أكثر المشترين لم يقدموا على الشراء خوفاً من سطوة العشائر وإن قوة الدولة العثمانية لم تكن كافية لضمان حقوقهم.

وحصة الحكومة من حاصلات أراضي الطاپو ٢٠٪ إن كانت تسقى بلا واسطة و١٠٪ إن كان ذلك بواسطة.

-٢٣-

الشعر العامي والغناء والأهازيج

الأدب العلمي نوع ظريف من الأدب يمثل شعور الشعب على مختلف طبقاته وهذا النوع من الأدب منتشر في الفرات الأوسط كثيراً وعلى الأخص بين العشائر وقد نبغ فيه عدد كبير وكلهم لم يحصلوا عليه بطريقة الدراسة وإنما ساقته لهم الفطرة.

ولا يعرف بالضبط تاريخ هذا النوع من الأدب ولكن من المؤكد إنه ما وجد في الجاهلية أو في صدر الإسلام وكل ما يعرف أنه انتشر في زمن الدولة العباسية ولربما جاء من اختلاط أبناء العرب بالأجانب فأوجد هذا التغيير في اللغة.

كما لا يعرف تأكيداً أول من نظم هذا الشعر واستعمله رغم تتبعي الزائد واستقصائي ذلك من الشعراء الموجودين في الفرات الأوسط.

الشعر العامي لا يخلو من نكات وطرائف يندر وجودها في الأدب الخاص (القريض) لأن الشعر العامي كما أسلفنا لغة العموم وناتج من تضارب أفكار العامة.

أما الغناء المتعارف اليوم في العراق كله فأغلبه من الشعر العامي.

وتستعمل الأهازيج والهوسات في الفرات الأوسط بكثرة وبتفنن في كثير من الأوقات وعلى الأخص ساعات الحرب والغزوات والأعياد

والأعراس والمآتم. والهوسات تؤثر على الفراتيين تأثيراً كبيراً حتى إذا اشتد وطيسها يفقد الأفراد شعورهم ويزداد هيجانهم فيلقى كل متهم نفسه في وسط النيران عند الحرب دون شعور كما حدث ذلك أثناء الثورة العراقية عندما هجم أفراد العشائر على القطار المسلح (بالمگوار)[1].

أكثر الشعر العامي والهوسات ذو الغاز ومعان صعبة لا يتيسر لكل فرد حلها وفهمها. وللشعر العامي أنواع عديدة أهمها وأكثرها استعمالاً ما يأتي:

الابوذية:

هذا النوع من الشعر العامي كثير الاستعمال وعام في الفرات الأوسط ويستعمل لكل شيء للرثاء. للغزل. للمدح. وإلخ. وكل بيت من الأبوذية يتكون من أربعة أشطر على أن تكون آخر كلمة من كل من الأشطر الثلاثة الأول متجانسة الحروف مختلفة المعنى عن الآخر ويشترط أن ينتهي الشطر الرابع بكلمة آخرها الياء والهاء وهاك مثلاً لذلك.

لغيرك ما سهر طرفي ولاحي   ولا لذلي بعرب معشر ولاحي
لأني ميت بشوگك ولاحي   دجد لي بالوصل گبل المنية

للسيد محسن أبو طبيخ في رثاء زوجته التي كان يعزها كثيراً.

سره ضعن الأحبة ماتونه   الخنسة بعض ورني ماتونه
چثير احنه من اهلنه ماتونه   ما خلو مثل خلتك عليه

وقيل مجارات للبيت:

فاسقني كأساً وخذ كأساً إليك   فلذيذ العيش أن نشتركا

(١) عمود خشبي في رأسه كرة من القير.

يحلو الطول والمبسم واليعود خطامنك تصل غيري ولي عود
أخذ كاس المدام أول ولي عود لذيذ العيش نتشارك سوية

وهناك أنواع أخرى من الأبوذية إذ يدخل موشح ضمن البيت وهذا مثاله:

بده اووجناه شبه البدر بسماه مزجت الزاد والمشروب بسماه
ونيني زاد، حبلي اركاد، عكلي انصاد، مشه أو ما عاد، أصيح الداد.
فنى النوح، تلفت الروح، البدن مطروح، الدمع مسفوح.
حمام الدوح دمعه ايسيل بسماه وأنا دمعي دمه وخضب لديه

الموال:

نوع من الشعر العامي الكثير الاستعمال ويتكون البيت من سبعة أشطر أو عشرة أو أضعاف الثلاثة مضافاً إلى ذلك واحد. ١٣، ١٦، ١٩، ٢٢... إلخ. على أن ينتهي كل ثلاثة أشطر بكلمات متجانسة الحروف مختلفة المعنى ويكون الشطر الأخير وهو الذي يضاف إلى الثلاثات منتهياً بكلمة تشابه الثلاثة الأول مستقلة المعنى أيضاً وهذا مثل لبيت ذي سبعة أشطر.

ما لاح بدر الدجى والليل عسعس وجن
ألا وعقلي من البلوى تسودن وجن
من شوق بيض الخدود وناعمات الوجن
واليوم وياي بفنون القطع فاتن
وسهام الألحاظ بأقصى ضامري فاتن
أيام عصر الصبا يا حسرتي فاتن
راحن وجن ما عرفنا اشلون راحن وجن

وهذا بيت موال ذو ثلاثة عشر شطراً:

شو شاح قلبي لمن شد الذهب معضد
شبه العنوف التكظكظ واتجه المعضد
أنبيك يا صاحبي جذ الوصل معضد
من حيث دمعي دمه شف والسواد الهال
لعيون بگمه التشد اشباگها والهال
وصف الحواجب مثل نون القلم والهال
وشبه المبرگع وقطع القاطعات الورد
بمثو من الماشگف سمه الچبدي ورد
حلو التماثيل معرض بالفروض أو ورد
ودعيتني يا حبيبي بس ابن ناحلي
والهام بالدوح يسمع ونتي وناح لي
وصفه يعوام يا جد عند ابن ناحلي
واشچيلك الحال مثله ما يجد معضد

الميمر:

كالأبوذية ولو أن بحره أبسط من بحر الأبوذية مكون من أربعة أشطر ينتهي كل من الثلاثة الأول بكلمات متجانسة الحروف مختلفة المعاني وينتهي البيت الرابع بكلمة آخرها راء. وهذه أمثال لذلك:

خشم الترف عجد الذهب من صبه   وادموع عيني أعلى الوجن منصبه
انچان لي هذا الخشف من صبه   واجب على الإسلام كلها تكفر

وهذا بيت آخر:

بي داي وأرياق الحبيب اشفاله   ومن الزبردج والعقيق اشفاله
اشمال زلفك يا حبيبي اشفاله   قال اذكر الله من النسيم اتنعثر

وهذا بيت آخر:

گصدي اموتن واسمع التلجيني ولا حاجة عند النذل تلجيني

يلدورتني بالحشر تلجيني عند الوصي بوادي السلام اتبختر

المربع:

تستهل القصيدة من المربع بشطر أو شطرين ويتكون كل بيت من أربعة أشطر تكون الثلاثة الأول على روي واحد وقافية واحدة والرابع يكون على روي الاستهلال وهذا مثال ما يستهل بشطر واحد.

يا كريم العين زانه

هاي دعواي اشيفلها وشدتي منهو يحملها

ذبحوا الناگه وطفلها (وگالوا الرب ابتلانه)

وهذا مثال ما يستهل بشطرين لفدعة في رثاء أخيها حسين:

(حسين لكازه بضلع منچاده يا تبليه تعين للصعاده)

نيص أخو فدعه اليختل الواعي ذيب شلوه وعذ بيت الراعي

يا فرخ شجر يج يابن الفاعي (ويا سلال اليكتل بميعاده)

وسعوا المجلس لفه السيلوسة ريمز يگص الصخر بظروسه

لو تخلبص شورها أو محيوسه (دنوا المخلبص لفاه استاده)

النعي:

أبيات تجري على روي واحد ووزن واحد إلى حيث ما شاء الناظم ويستعمل هذا النوع من الشعر الرثاء على الأكثر.

لفدعة بنت علي الصويح في رثاء أخيها حسين القتيل:

يحسين يا سور المكلس يا جلعة البولاد يا أملس

ينحة مبارد ما تدرس   يذيب على العظمات غلمس
يليث اليسطر السيل والمس   يا گصوره وبشياب عرس
ينگلة فرز يلهايهي وبس

العتابة:

يتكون بيت العتابة من أربعة أشطر تكون الثلاثة الأول متجانسة القوافي في اللفظ لكل منها معنى خاص أما الشطر الرابع فيختم بكلمة آخرها أما هاء السكت أو الباء وهذا مثال لبيت ختم بهاء السكت:

گطع بيه زماني گطع بتال   وخلاني أباري الضعن بتال
راح العيط گلنه الخلف بتال   راح التال وانگطع الرجه

وهذا مثال بيت ختم بالباء.

يمن عنده ذلول اشداد بلخف   ويلحجني محاري الضعن بلخف
آنا اللي ذلولي انصاب بلخف   وگطع مصيوب من دون الأرچاب

النايل:

من البحر البسيط يتكون من شطرين متحدي القافية مثال ذلك:

يا بو زبون الحمر ومخيط بأبره   كل الشرايع زلگ من صوبنه العبره

وهناك أنواع قليلة الاستعمال ضربنا عنها صفحاً.

أما الغناء فإنه يكون من الشعر العامي المار ذكره والنوع الكثير الاستعمال منه يعرف بـ(البستة) وأكثر أنواع الشعر العامي تستعمل في الغناء ولكن بنغمات خاصة لكل نوع فلا يجوز أن يقرأ الأبوذية بطريقة الموال ولا الموال بطريقة النايل وهلم جرا. وهذه أمثلة للبستات:

(١) طرحي بصخر ذبوه مسحاتي چلت
بس دعوتي ويه هواي كل دعوه فلت

(٢) لارمه ولا ضگناه توهرشه سده
وابخت من گطعوا حبل الموده

(٣) مالي قلوب اثنين خو تدرى بيه
واحد واخذته وياك ما ظل شي ليه

(٤) شوف اشتگول الناس مطرب للوداع
من عادة المذبوح يرفس على القاع

(٥) ولا يا طبيب الجاي لا تلزم أيدي
ما من نبض ينبيك روحي بوريدي

(٦) تحنين اديج اشلون بجفاج إليه
گالت مسحت العين وأثر بديه

أما الهوسات فإنها تتكون عادة من شطر واحد ذي معنى سام وتستعمل في كل الأحايين وفيم ختلف الأحوال ويرتجلها قائلها عادة بين جموع من الناس يتناولونها بعد ارتجالها ويرددونها مرات عديدة حتى ترتجل هوسة أخرى. والهوسة تؤثر على المهوسين كثيراً حتى تخرجهم عن شعورهم الاعتيادي في كثير من الأوقات ولذا تستعمل في الحروب أكثر من غيرها. وفي الأيام الأخيرة صار يقدم البعض الفهوسة ببيت من الأبوذية أو غيرها يختم بالهوسة وهذه أمثلة لبعض الهوسات.

[اهنا سوينه الگناره]: - قالها شخص من عشيرة بني حچيم أثناء مرور المرحوم جلالة الملك فيصل الأول بأراضي العوجة ليتوج على العراق ملكاً وفي العوجة حصلت الواقعة التي تكبد بها الانجليز أضراراً جمة في الثورة العراقية.

[اتته آيه من الله ومرسوله]: - قالها السيد محسن أبو طبيخ أثناء تشريف جلالة الملك المغفور له فيصل الأول ملك العراق للكشف على (النگارة) ويقصد بهوسته شخص صاحب الجلالة الملك.

[يا زليخة ليوسف تاليه]: - قالها رباط الفتلي يقصد الانكليز أي أن عملهم سيكون آخره للعراقيين ومثلهم مثل زليخا ويوسف.

[يا ما طمن من هل عينه]: - قيلت في العوجة أثناء قدوم جلالة الملك المرحوم فيصل الأول إلى العراق وقد أشر قائلها على الانجليز المحيطين بصاحب الجلالة المرحوم يقصد أن أسلحتنا يا ما طمت من أمثال الانجليز. . .

[نش لا يستندي ويا ذيها]: - قالها الخزاعل عندما اعطتهم السلطة أراضي بني عارض فبنى الأخيرون القلاع داخل بيوتهم التي كان ظاهرها من الشوك. يشير قائلها أنه يجب على الخزاعل أن يخرجوا بني عارض لأنهم كبيض الجراد إذا مسه الندى فقس فلا يمكن أن يكافح فأجابهم بنوا عارض.

[نش ما ينفع فرخ بها]: - أي أن الإخراج لا يفيد فقد فرخ بيض الجراد ولا يمكن أن يكافح.

[أو هو يمسحها أو وداها]: - قالها بنو زريج يعيرون الظوالم الذين أخذوا يسلمون الضراب من البنادق التي فرضتها الحكومة المحتلة فإنهم يمسحونها ويقدمونها. ولما صارت الثورة الرعاقية ولم تقم لبني زريج قائمة قال الظوالم:

[أو هو حنفشتي وگفيتي]: - يمثل القائل بني زريج كالدجاجة حين تحنفش ثم تنام على البيض.

[شت عگل الله أو موت لوتي]: - قالها مهوال من گريط وهي هوسة الحادية يقصد أن الباري سبحانه وتعالى خرج عن رشده فأمات زعيمهم لوتي.

[حتى طفيل اسمع يا ربي]: - قالها الحاج مرزوق العواد عندما

تحارب بنو حسن وآل فتلة فكانت عشيرة طفيل المحاربة مع آل فتلة حصة العوابد الذين يرأسهم الحاج مرزوق وأراد الحاج بهذا التهكم واحتقار عشيرة طفيل.

[سجيل امطر جيت عليها]: - هوسها الشيخ سعدون الرسن حينما قهر الانجليز أثناء الثورة العراقية وهو يشير إلى الآية الكريمة: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾. وهذا مثال لهوسة مقدمة ببيت من الأبوذية:

عمامي اثگال واهتمت عداها   تزيد أو جايز على الحد عداها
اگله ايكف گبل متطب عداها   (چم قيصر گبله أمو شمينه)

وهذا مثال لهوسة مقدمة بموشح:

احنه العرب واحدنه بطل عرنين   طواغيت أو تقر بينه الأمم كل حين
ابونا اللف رواياها ابحرب صفين   (ابـلـوح مـدون تـاريـخـه)

هذا ما تيسر تدوينه واطلب من الله المعونة والتوفيق.

فهرس المحتويات